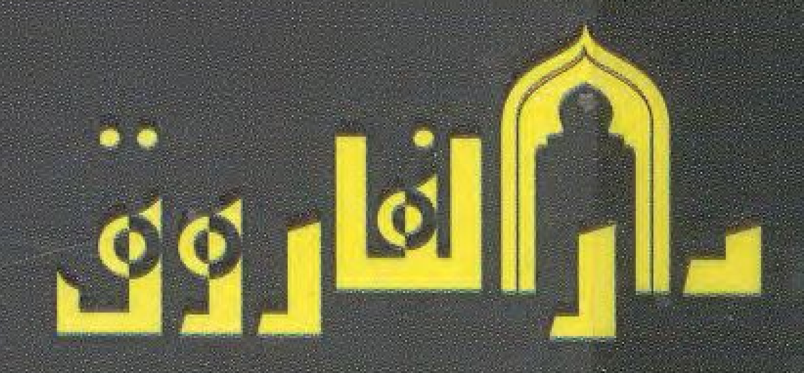
هذا الكتاب مصرح من مجمع البحوث الإسلامية

الإسلام والفن

تقديم فضيلة
الأستاذ الدكتور/ علي جمعة
مفتي الديار المصرية

تأليف
حسام الغمري



الإسلام والفن

الناشر: دار الفاروق للنشر والتوزيع

☜ الحائزة على الجوائز الآتية ☞

جائزة أفضل ناشر ثقافي عام في مصر لعام ٢٠٠٤

جائزة أفضل ناشر للأطفال والناشئة في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر مدرسي في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة أفضل ناشر للترجمة من وإلى اللغة العربية في مصر لعام ٢٠٠٣

جائزة الإبداع في مصر لعام ٢٠٠٢ (الجائزة الذهبية)

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠١

جائزة أفضل ناشر علمي وجامعي في مصر لعام ٢٠٠٠

المركز الرابع كأفضل دار نشر على مستوى العالم

في مجال الترجمة في معرض فرانكفورت عام ٢٠٠٠

فرع وسط البلد: ٣ شارع منصور – المبتديان – متفرع من شارع مجلس الشعب محطة مترو سعد زغلول – القاهرة – مصر.

تليفون: ٧٩٥٣٠٣٢(٠٠٢٠٢) – ٧٩٤٣٢٠٣ (٠٠٢٠٢)

فاكس: ٧٩٤٣٦٤٣ (٠٠٢٠٢)

العنوان الإلكتروني: www.daralfarouk.com.eg

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

الغمري، حسام

الإسلام والفن / حسام الغمري؛ – ط ١. – القاهرة:

دار الفاروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦

١١٢ ص، ١٧ × ٢٤ سم.

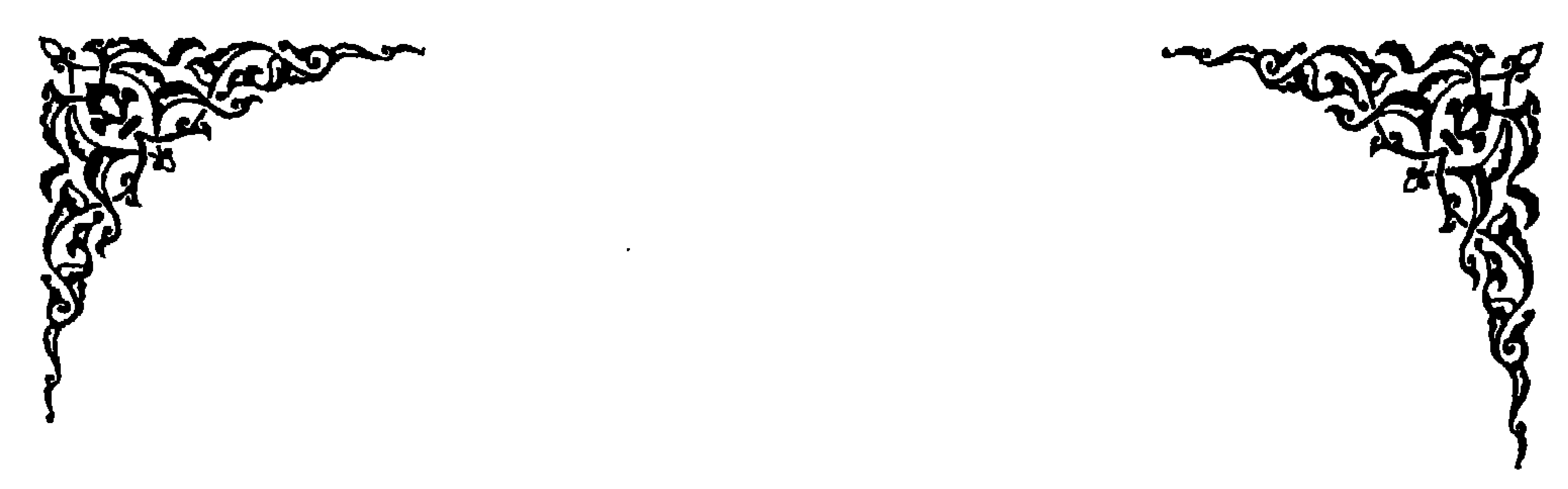
تدمك: 977-408-111-0

١– الإسلام والفن أ– العنوان

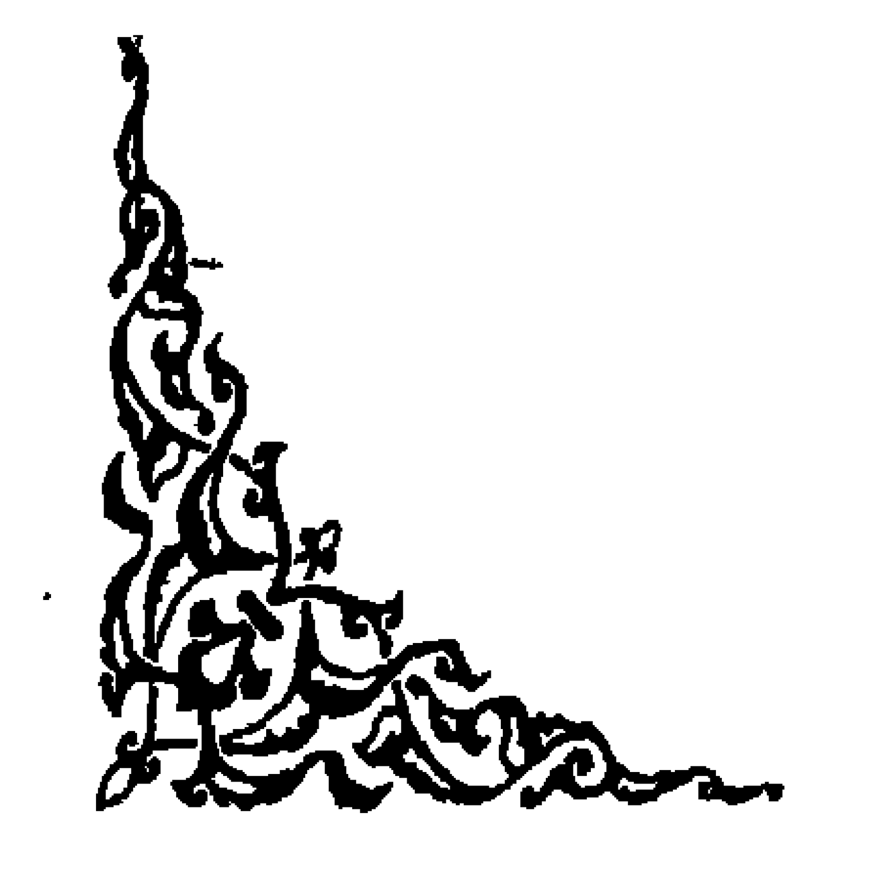
ديوي ٢١٤,٧

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٥١٥٢

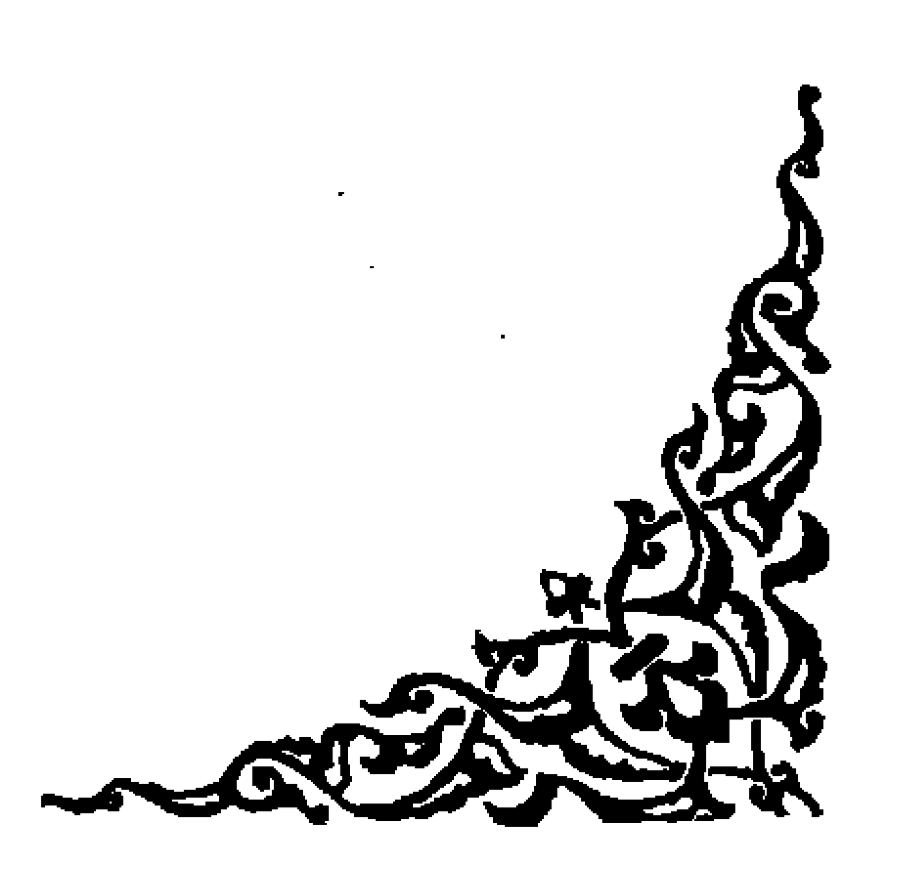
تدمك 977-408-111-0



الإسلام والفن



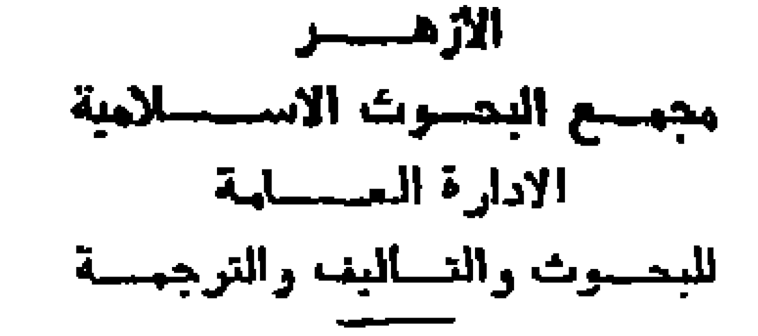
تأليف
حسام الغمري



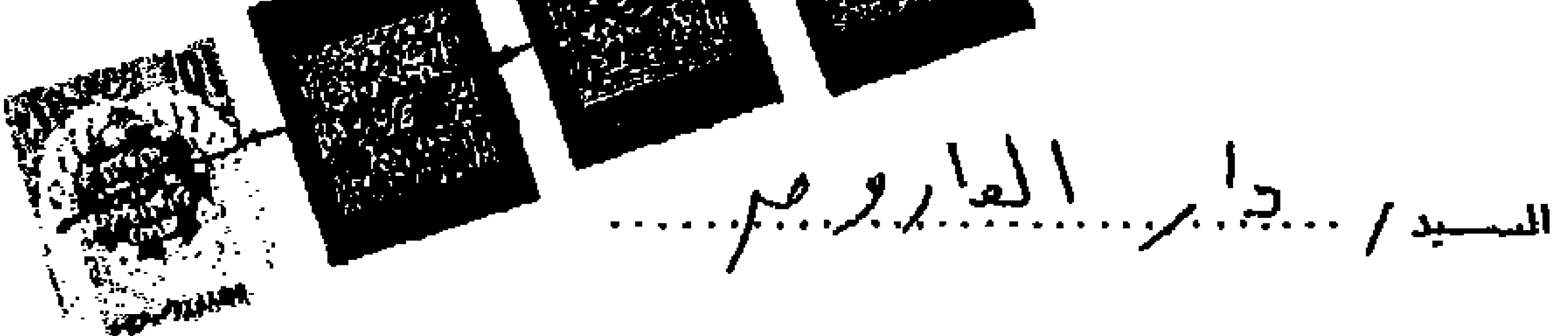
بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation


الأزهـــر
مجمـــع البحـــوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحـــوث والتـــأليف والترجمـــة

٢٠٤٠١٥



السـيد / ......دار العاروص......

الســلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ــ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : الإسلام والغرب....
دراسة تحليلية لبعض [illegible] الإسلام بالغرب تأليف : احمد ابو بكر..........

نفيد بان الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مــانع من طبعــه على نفقتــكم الخــاصة .

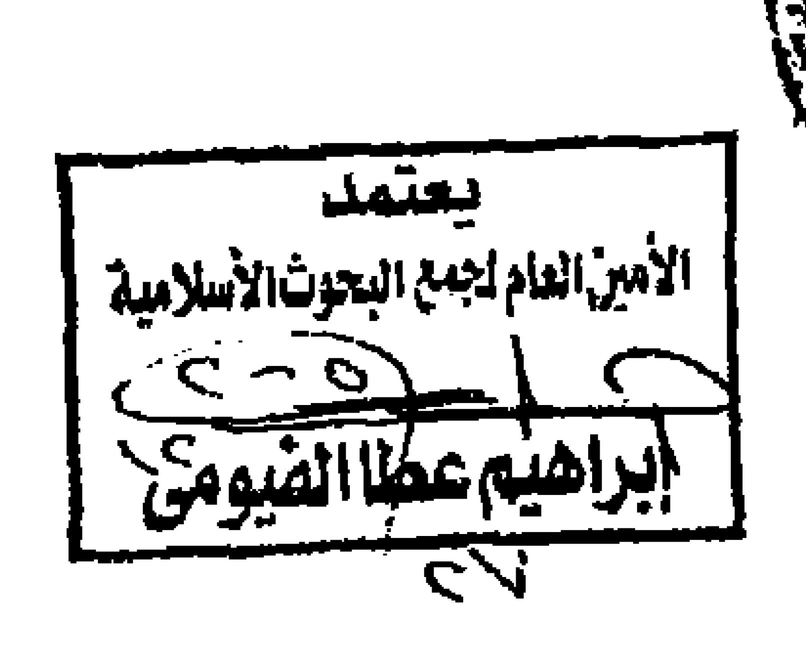
مع التــأكيد على ضرورة العنــاية التامة بكتــابة الآيات القــرآنية والأحاديث النبــوية الشريفــة .

واللـــه المــوفق ،،،

والســلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ،،،

مدير عــام
ادارة البحوث والتــأليف والترجمــة

تحريرا في ٢٢ / ذو القعدة / ١٤٢٦ هـ
الموافق ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٥ م



٢٧

تقديم الكتاب
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة
مفتي الديار المصرية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه... وبعد.

هناك ارتباط وثيق بين الجمال والفن؛ فالجمال في فطرة الإنسان يميل إليه بطبعه، وهذا لا يحتاج إلى تدليل، إذ هو محسوس مشاهد في كل زمان ومكان، وأما ما ورد في نصوص الشرع الحنيف من دعوة للتأمل في الجمال، وحث للتجمل فهو كثير، نذكر منه ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ ﴾[1]

وما ورد في ذكر جمال منظر السماء، والحث على النظر إليها، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝ ﴾[2]

---

(١) الآية ٦ من سورة النحل.

(٢) الآية ١٦ من سورة الحجر.

وقوله تعالى:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(١)

ففي هذه الآيات دلالة واضحة على عظم قيمة الجمال؛ حيث امتن الله على الإنسان بكل مظهر جميل، وحث المؤمنين على النظر في كل جميل؛ حتى تسمو نفوسهم وترتقي لفهم المعاني الجليلة. وأما ما ورد في السنة المشرفة، فمثل حديث عبد الله بن مسعود، الذي يرويه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل، يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس»(٢)

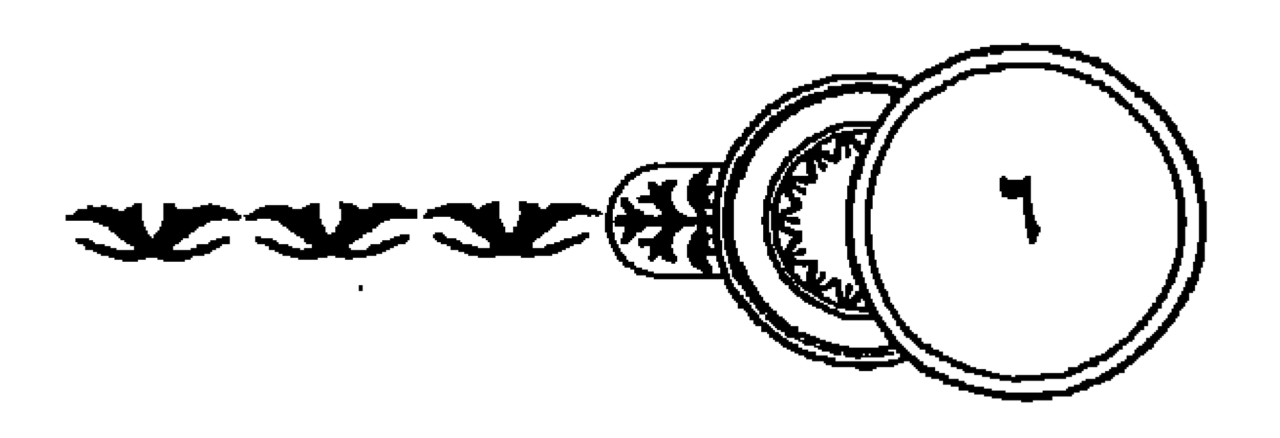
ففي الحديث دعوة صريحة من سيدنا رسول الله ﷺ لأمته للاهتمام بالجمال المظهري، وقد علل هذه الدعوة بأن الله جميل، فالله – عز وجل – متصف بكل صفات الجمال ونعوت الكمال والجلال.

وتدرك النفوس البشرية الجمال عن طريق الحواس، فالعين تدرك المنظر الجميل، والأذن تدرك الصوت الجميل، والأنف تدرك الرائحة الزكية الجميلة، واليد تدرك الملمس الجميل، كما أن اللسان يدرك الطعم الجميل.

---

(١) الآية ٦٠ من سورة النمل.

(٢) رواه مسلم وأحمد.



وبعد إدراك الجمال الموجود في الكون، يحتاج الإنسان للتعبير عن هذا الجمال الذي لمس إحساسه، فأنشأ الإنسان الفنون المختلفة للتعبير عن شعوره بالجمال، وغيره من المشاعر المختلفة، فالفن إذن وسيلة للتعبير عن الجمال في الكون.

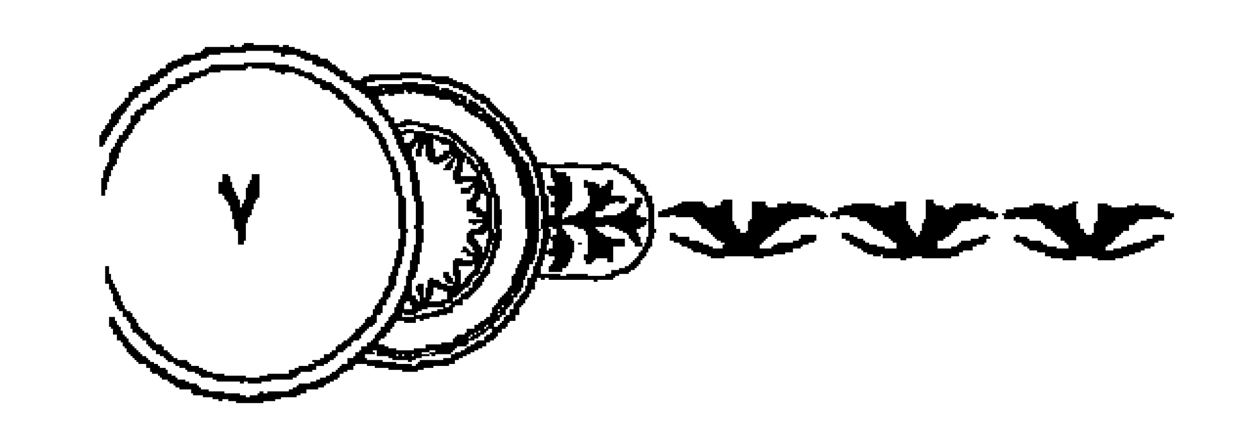
والفن في اللغة : واحد الفنون، وهي الأنواع، والفن : الحال، والفن : الضرب من الشيء، والجمع أفنان وفنون، والأفانين: الأساليب، وهي أجناس الكلام وطرقه، ورجل متفنن أي ذو فنون، وافتن الرجل في حديثه، وفي خطبته، بوزن اشتق، جاء بالأفانين.[١]

أما عن الفن في الاصطلاح أو في الاستعمال؛ فقد أصبح مفهوم الفن معوماً إلى درجة أنه أصبح مقترناً بالإبداع، ونظراً لأن مصداقية أي تعريف تكمن في مدى قدرته على التحديد والتفسير؛ فإننا سنكتفي هنا بهذا التعريف الذي يعرف الفن بأنه هو: «المحاولات التعبيرية التي تستهدف تجسيد المشاعر الإنسانية»، فالحدث الفني يتعلق بالشعور وليس بالمنطق، وهذا هو الفارق البائن له عن الفكر، والغرض المستهدف هو تجسيد المشاعر.

والفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود.

---

(١) لسان العرب مادة (فنن).



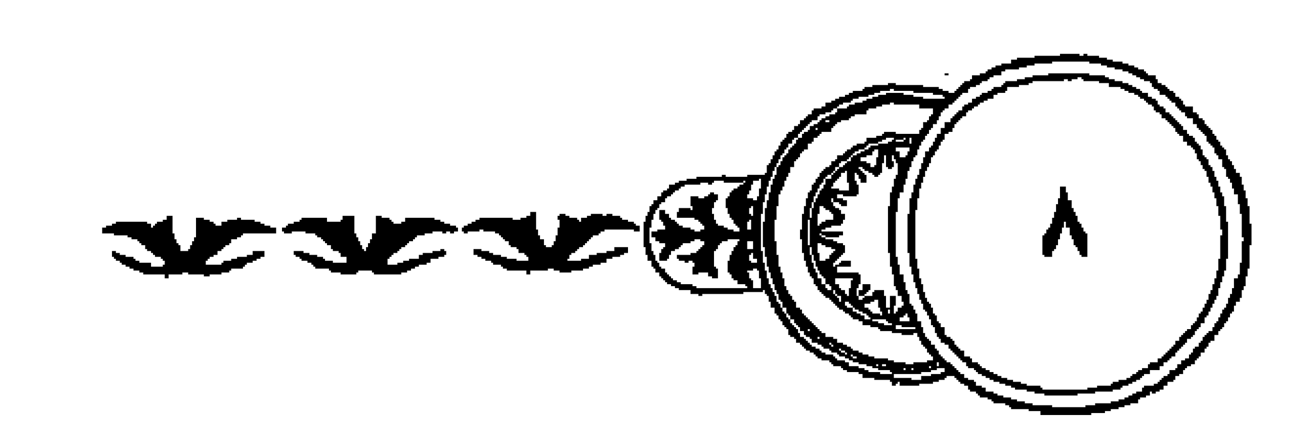
ولا ينبغي للمسلم أن يعبر عن أية مشاعر، سواء كانت الجمال أو غيره بما يخالف التعاليم الدينية والمعايير الأخلاقية والثقافية لمجتمعه، فإن الفن الذي يلتزم بالضوابط الأخلاقية، ولا يتعدى حدود الأدب مع الله والكون والإنسان هو الفن الذي يفيد البشرية.

والكتاب الذي بين أيدينا للمؤلف الأستاذ حسام الغمري بعنوان «الإسلام والفن» يجلي هذه المعاني، ويبين أن الفنان صاحب موهبة من الله فلا ينبغي أن يستخدم تلك الموهبة في غير نفع البشرية ورضا الله سبحانه وتعالى.

وهو كتاب جيد في بابه، نسأل الله أن ينفع به وبمؤلفه ويجعله في ميزان حسنات مؤلفه يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د: علي جمعة

مفتي الديار المصرية



تمهيد

الفن هو ضمير الإنسانية، وهو الشيء الحسن الراقي الذي يعيش معنا ويشاركنا كل أحداث الحياة ومظاهرها من حولنا، ويخبرنا برأيه فيها ويخبرنا برأيه فينا أيضا ، نحن صناع هذه الأحداث، والمشاركين في هذه المظاهر ، والمتمتعين بالإرادة الحرة وحق الاختيار، وهما الأمانة التي عرضها الله سبحانه على السماوات والأرض والجبال:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[1]

وهكذا أصبحنا خلفاء لله على الأرض ، نصنع فيها ما نشاء بإذن الله.

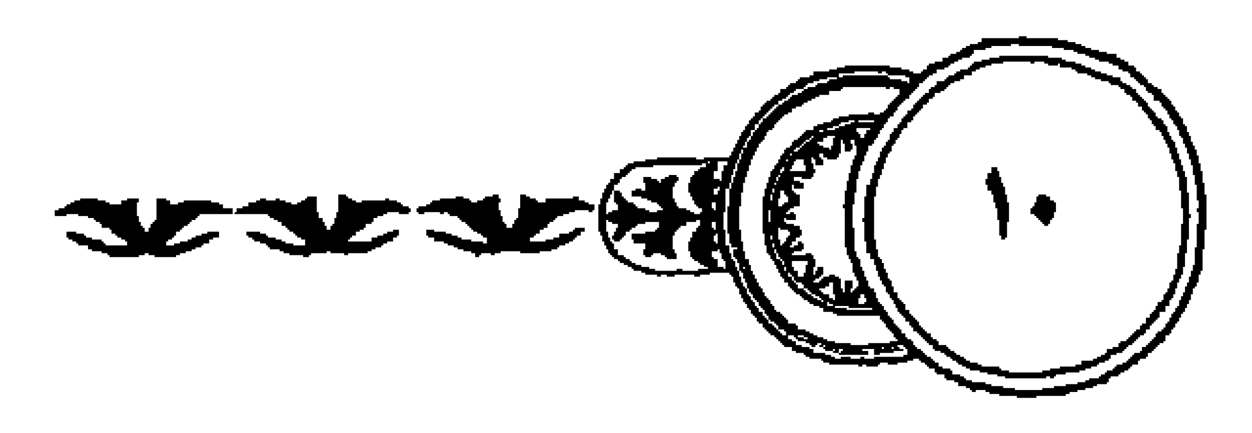
و يخطئ كثير من الناس عندما يختزلون الفن في أغاني الفيديو كليب والمشاهد السينمائية الساخنة والرقص، تبعًا لتصورات قاصرة تشيع بين العوام، ومن يستقون معارفهم فقط من وسائل الإعلام ، إن الفن أوسع مجالاً وأسمى هدفاً، وأبعد مدى في سبر أغوار النفس البشرية، وأعظم شأنًا ـ في الحضارة الإنسانية عامة والحضارة الإسلامية خاصة ـ من أن يختزل في المشاهد المثيرة للغرائز التي تُبَثُّ في الفضائيات.

(١) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.

وقد يكون من الصعب على الإنسان أن يقدم تعريفا دقيقا للفن، وذلك لرحابة مجاله وسرعة تطور حركته من جهة، ولتعدد المدارس الفنية من جهة أخرى ولكن، من الضروري إعطاء تعريف يبين حقيقة الفن ويقرب فهمه إلى ذهن القارىء فالفن هو تعبير عن مضمون أو رؤية أو قيمة أو فكرة أو مناقشة لمشكلة أو لقضية تشغل المجتمع، بصورة تعتمد على الجمال وتمتاز بالتنظيم والتوازن المحكمين وحسن اختيار العناصر والأدوات الفنية على اختلافها، وهذا التعبير يمثل استجابة وتجسيداً من الفنان لما ينفعل به انفعالا وجدانيا عميقا، فالفن كما يقول الفيلسوف جود هو: النافذة التي يمكن أن نطل منها على حقيقة الجمال.

وعلاقة الفن بالجمال هي علاقة ارتباط وثيق لا انفصام فيه، وأصل الجمال في هذه الدنيا هو المولى عز وجل ، فهو سبحانه جميل يحب الجمال، وبالتالي فهو سبحانه أصل الفنون كما أنه سبحانه أصل الوجود كله بكل ما فيه، والإنسان يبدأ يومه بالعديد من المشاهد الفنية التي تدعو إلى التأمل والمشاهدة بعد أن تثير الإعجاب والدهشة داخل النفوس، وتلقي الإنسان لهذه المشاهد يتوقف على حالته المزاجية التي هي انعكاس لحالته النفسية، وروعة الفن تكمن في تأثيره المباشر على حالة الإنسان النفسية ، وتأثره أيضا بها.

وهذه المشاهد مثل شجرة تراها اليوم من نافذة منزلك في الصباح الباكر وكأنك تراها لأول مرة وقد أدهشتك روعة خلقها، فتمكث أمامها مبهورا بهذا الجمال الذي منحه لك الخالق أحسن الخالقين، ولا تلبث الشمس أن ترسل لها المزيد من أشعتها الذهبية فتضفي عليها ضياءً وجمالاً وتجعلها تتلألأ، وتشعرك أيضا بروعة الظل الذي يسكن أسفلها، وفي الليل يبهرك القمر دائما بابتسامته الساحرة والنجوم بإيقاعها المتلألىء، وربما تكون هذه النافذة مطلة على حديقة أزهارها متنوعة الأشكال والألوان تغرد حولها طيور تتنوع فيها أيضا الأشكال والألوان، وإذا كنت تسكن في حي شعبي مزدحم، تستطيع أن ترى من خلال نافذتك الإنسان الذي هو قمة الإبداع في الخلق.

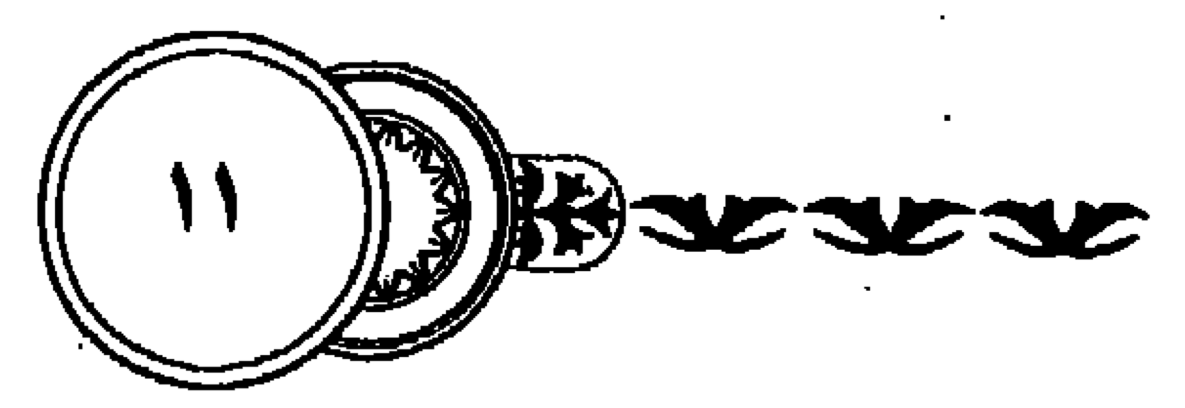


كل هذا التنوع في الطبيعة يتأمله الفنان ويمضي الوقت في كشف مظاهر الجمال فيه بموهبته التي هي منحة من الخالق مبدع هذا الجمال ، فتنعكس أفكاره على كل ما يحيط بنا من أشياء ، فيبدع الفنان في شكل العمارة ووسائل المواصلات وأشكال الملابس وألوانها وأدوات الاستخدام اليومي (أثاث، أوانٍ، أكواب، سيارات ....)، كلها أشياء أبدع المصمم الفنان في أشكالها وألوانها حتى تعكس مظاهر الجمال من حولنا.

والقدرة على تأمل الطبيعة واستخلاص القيم الجمالية التي وهبها الله لها أمر بالغ الأهمية، ليس في تكوين الذوق العام فقط، وإنما أيضا تسهم هذه المقدرة في فهم القوانين التي تحكم الأشياء في الطبيعة وتكسبها جمالها الذاتي، ومن ثم، يمكن أن يزيد استمتاعنا بهذا الجمال ، كما يمكن الاقتباس منه والتطبيق على منتجاتنا النفعية وفنوننا المختلفة ، فالمولى قد جعل لكل عنصر في الطبيعة جماله الذاتي، وهو جمال خاص به لا يشاركه أحد فيه، وهذا التفرد ينعكس على الفنان ويزيد من تفرده، فالفنان في حد ذاته مخلوق لله وعنصر من عناصر الطبيعة ذات الجمال المتفرد، وبالتالي تختلف رؤيته للأشياء وتأثره بها، ومن ثم يختلف التعبير عن هذه الأشياء من فنان إلى آخر.

و يُعرَّف الفن في المعجم الوجيز بأنه: مهارة يحكمها الذوق والموهبة ، والتطبيق العلمي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها، ويُكتسب بالدراسة والمران، وهو جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة، وهو جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وخصوصًا عاطفة الجمال، كالتصوير والموسيقى والشعر، وجميعها فنون.

والفنان هو صاحب الموهبة الفنية، كالشاعر والكاتب والمصور والممثل، والكلمة مبالغة من فنان ، وهو شخص ذو حساسية خاصة يستطيع أن يلتقط الإيقاعات الخفية التي لا يدركها الكثير من البشر، وهو ذو قدرة تعبيرية خاصة على تحويل هذه الإيقاعات إلى لون من الأداء الجميل، يثير في النفس الانفعال، ويحرك فيها حاسة الجمال.



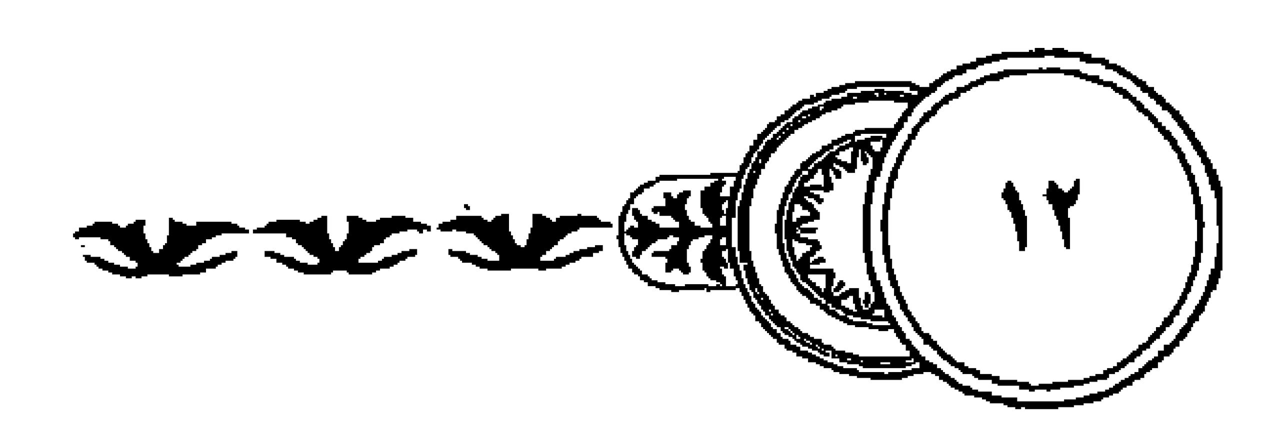
والموهبة هي منحة إلهية يختص بها من يريد من عباده في واحدة أو أكثر من مجالات الحياة ، وليس كل موهوب فنان بالضرورة، فتحقيقات الشرطة كثيرا ما تنبئ بلص موهوب في فتح الخزائن أو سرقة السيارات أو الاحتيال على البنوك أو استخدام الكمبيوتر في السطو على أرصدة البنوك... إلخ، والعكس غير صحيح، فالله سبحانه قد منح كل فنان موهبة في مجال أو أكثر من مجالات الفن المتعددة، فمن الفنانين من استطاع الجمع بين الشعر والرسم، التلحين والغناء التأليف والإخراج... وغيرها من المجالات التي يشترط الإبداع فيها وجود موهبة – منحة – من الخالق، والشيء الذي يميز موهبة الفنان عن أي موهبة أخرى هي قدرته على صنع جمال، أو التعبير عن الأفكار بصورة جميلة.

ويتناول هذا الكتاب الفنون باعتبارها تنهل من رافد واحد وهو ما خلقه الله من جمال في الطبيعة، وذلك على الرغم من اختلاف الأدوات الفنية، فلغة الفن التشكيلي مثلا والمستمدة من الطبيعة هي الخط واللون والظل والنور وملامس السطوح والأحجام والفراغات، وهي تكافئ اللغة التي يُصاغ منها الشعر والأدب كما أن أصوات الطيور والرياح والمياه الجارية وحناجر البشر هي العناصر الأولية التي تصاغ منها الموسيقى، كما أن أجسام الممثلين وحركتهم في الفراغ المسرحي هي أدوات المخرج المسرحي في صياغة رؤيته الإخراجية... وهكذا.

ولقد تطورت الفنون بتطور الحياة وتعقدها وانصهار الثقافات فيها بسبب سهولة تواصل المعلومات وانتقال الأخبار، فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى الشعراء في العصر الجاهلي، نجد أنهم كانوا يجتمعون بسوق عكاظ(١) من كل عام، ويتبادلون إلقاء قصائدهم التي تحكي تجاربهم وتجارب القبيلة التي ينتمي إليها كل شاعر، وكانت هذه التجارب هي أغراض كل قصيدة، من بكاء على الأطلال، إلى الغزل ووصف المحبوبة، إلى الفخر والحماسة ووصف معارك القبيلة

---

(١) سوق كان يقام بين مكة والطائف في الجاهلية وكان الشعراء يعتبرونه منتدى أدبيًا لإلقاء القصائد.



وبأس فرسانها ، فضلا عن وصف الطبيعة متمثلة في الليل الملهم ببدره المنير ونجومه الهادية ، وصولا إلى وصف الراحلة (الدابة التي تستخدم في الركوب) ، وبإعادة قراءة هذا المنتدى الأدبي القديم - معتبرين غياب وسائل الإعلام عن ذلك العصر، وبعد معرفة أن الطباعة لم تكن أيضا معروفة في هذا العصر بشكلها المعروف الآن أو حتى بشكلها البدائي - سندرك أن الشعر كان وسيلة لنقل الأفكار والمشاعر والتجارب الحياتية بصورة فنية بها جمال الجرس الموسيقي للقافية والأوزان وجمال التراكيب اللغوية والمعاني الراقية.

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل

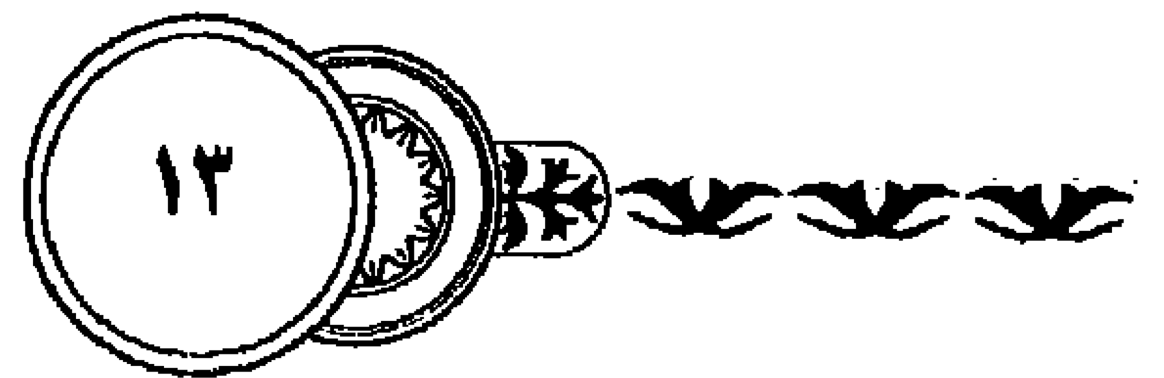
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل(١)

والشاعر العربي القديم كان يدرك أن موهبته تساعده كثيرا في نقل أفكاره بصورة يستحسنها الناس وتعمق المعاني التي يريد توصيلها بداخلهم بسبب الجمال الذي تشعه ، وأن فنه يخلد أبياته التي تحمل مبادئه في الحياة ، والشاعر الجاهلي هو فنان صاحب مقولة تكون متأثرة بتجاربه في الحياة وبالتجارب المحيطة به ويرصدها بعيون مختلفة، ويكون مهموما بتوصيل آرائه وأفكاره إلى مجتمعه بأسلوب جميل يبرز موهبته التي هي محل فخره واعتزازه.

ولقد تطور الشعر عبر الزمن فصار قصة قصيرة ورواية ومسرحية وسيناريو سينمائيًا أو إذاعيًا أو تليفزيونيًا، وتطور سوق عكاظ فصار كتابا ودار عرض مسرحي وسينمائي وشاشة صغيرة.

وكان الشاعر العربي من سوق عكاظ إلى قصر الخليفة يقوم بإلقاء قصيدته بنفسه، ثم جاء دور الغناء الذي يقوم فيه صوت جميل بنقل القصيدة مع موسيقى

(١) معلقة امرىء القيس (نحو ١٣٠-٨٠ قبل الهجرة / نحو ٤٩٧-٥٤٥م).



تداعب الوجدان، ثم جاء الممثل ليقوم بأداء الشخصيات التي يصوغ من خلالها المؤلف أفكاره التي تشارك - الشخصيات - من خلال أحداث يصنعها المؤلف ويمكن أن تحدث في الحياة، في توصيل الحكمة والموعظة التي يريد توصيلها للناس.

وكما تطور الشعر تطورت الفنون الأخرى، وتطور هذه الفنون يخرج عن نطاق هذا الكتاب، ولكن ما يُعنى به هو إثبات وحدة هذه الفنون من حيث الأصل رغم اختلاف الأدوات والتقنيات التي تتطور مع الزمن وتختلف باختلافه.

ومن كل ما سبق يتضح لنا حقيقة الفن وجوهره، لذا فإنه من المستحيل أن يحاربه الإسلام أو يعاديه، لأن الإسلام دين الفطرة السليمة التي تنجذب إلى الكون متناغمة معه، وإلى الوجود مستأنسة به، مستبطنة منه كل معاني الجمال مؤلفة من ذلك نسقا متجانسا، يتواءم مع الوجود الذي أبدعه البارىء جل وعلا فالإسلام لا يحارب الفن ولا يعادي الجمال، لأنه - الإسلام - الدين الحق الذي أنزله خالق الكون ومصوره، وقد بلغ الإسلام المنتهى في الكمال، وتجاوز المدى في الحسن، وبلغ نهاية الإعجاز في الجمال، شكلا وجوهرا، ولقد أشاد الإسلام بالجمال ونوه به في مواضع متعددة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فورد في الحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام مسلم: «إن الله جميل يحب الجمال...».

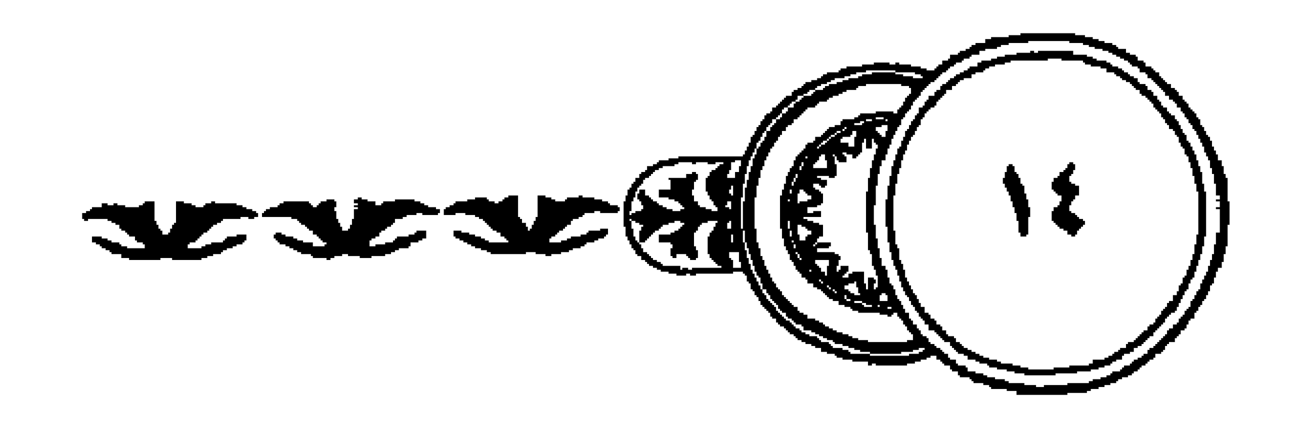
ولقد خلق الله الكون في قمة الجمال، وجعل الإنسان خليفته في الأرض وخلقه في أحسن تقويم، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1]

وبث في الكون من آيات الجمال الباهرة ما يسبي الألباب ويدهش العقول، قال تعالى:

---

(١) الآية ٤ من سورة التين.



﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ ﴾(1)

ودعا الناس إلى تأمل جمال السماء الدنيا فقال :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾(2)

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾(3)

حتى الأنعام، فلقد لفت المولى أنظارنا إلى جمالها ونحن نراها بكرة وعشيا فقال:

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾(4)

كما أمر المؤمن أن يلتزم السلوك الجميل فقال :

﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾(5)

وبهذا غرس المولى حب الجمال في أعماق الإنسان، حتى إنه لينجذب إلى كل الصور الجميلة والمناظر البديعة، ويشعر وكأنه يعرفها منذ زمن بعيد، وهذا الانجذاب إلى الجمال هو الذي يمنح المرء الاستعداد لإدراك الجمال في أسمى صوره وأبرز معانيه، وهو في الحقيقة بعض من جمال الله تعالى، وجمال دينه، والاستقامة على هديه، لذا فالحديث عن حرمة الفن أشبه بالحديث عن حرمة

---

(1) الآيتان ١٧، ١٨ من سورة الغاشية.
(2) الآية ٦ من سورة الصافات.
(3) الآية ١٦ من سورة الحجر.
(4) الآية ٦ من سورة النحل.
(5) من الآية ٨٥ من سورة الحجر.

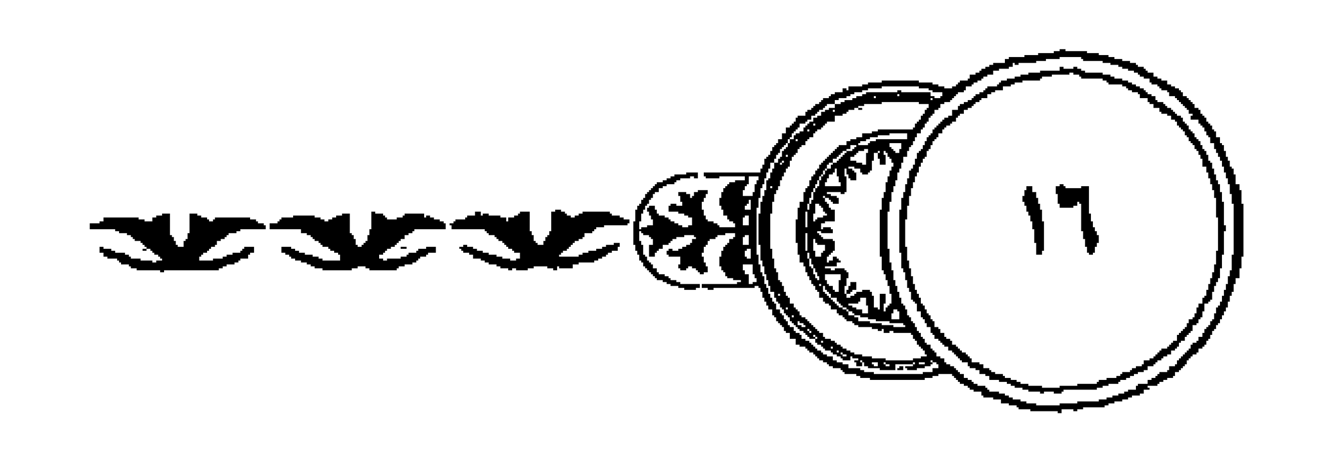
العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة التي يمكن ممارستها بطريقة شرعية هي الزواج، وأشبه بالحديث عن حرمة الأطباق اللاقطة التي تمكنك من متابعة بث حي من الحرم المكي الشريف، وحرمة جهاز الفيديو الذي تستطيع بواسطته تسجيل شرائط الأئمة والدعاة ومشاهدتها، وأشبه أيضا بالحديث عن تحريم الهاتف المحمول الذي تستطيع أن تصل به رحمك، وتبث الطمأنينة في نفوس ذويك من خلاله.... وهكذا.

والصحيح أن أي فن لا يصطدم مع العقيدة الإسلامية، ويمكن أن يلتقي مع الدين في أعماق النفس، كما تلتقي مناظر الطبيعة الجميلة، ويستثنى من هذا الرقص إذا كان يعتبره البعض فنا رغم تعريف الفن بمضمون يُقدم في قالب جميل ، بينما الرقص هو جسد جميل عار يهتز دون مضمون ، وقد يدعي البعض وجود مضمون لبعض الرقصات ، ولهؤلاء البعض أقول فقط : اتقوا الله.

و لقد عُرف فن إسلامي أصيل شمل مجالات واسعة في الحضارة الإسلامية التي ملأ إشعاعها أرجاء العالم أربعة عشر قرنا، وكان فنا متميزا في شكله وجوهره، ينبثق من رحاب المساجد، ويستلهم عقيدة الإسلام الصافية، التي لا تلزم الفنان المسلم بصيغة واحدة للتعبير الفني.

و لقد استنتج الفيلسوف روجيه جارودى أن العامل المحرك للفن الإسلامي هو المسجد وفن عمارته، ثم قال مقولته الرائعة: "إن الفنون في الإسلام تفضي إلى المسجد، والمسجد يفضي إلى الصلاة "، وهذا يعني أن الفن الإسلامي يجذب الإنسان جذبا إلى الله تعالى، فيتوق إلى عبادته ويستمتع بمناجاته، رغبة في التخلص من كل عبودية لسواه.

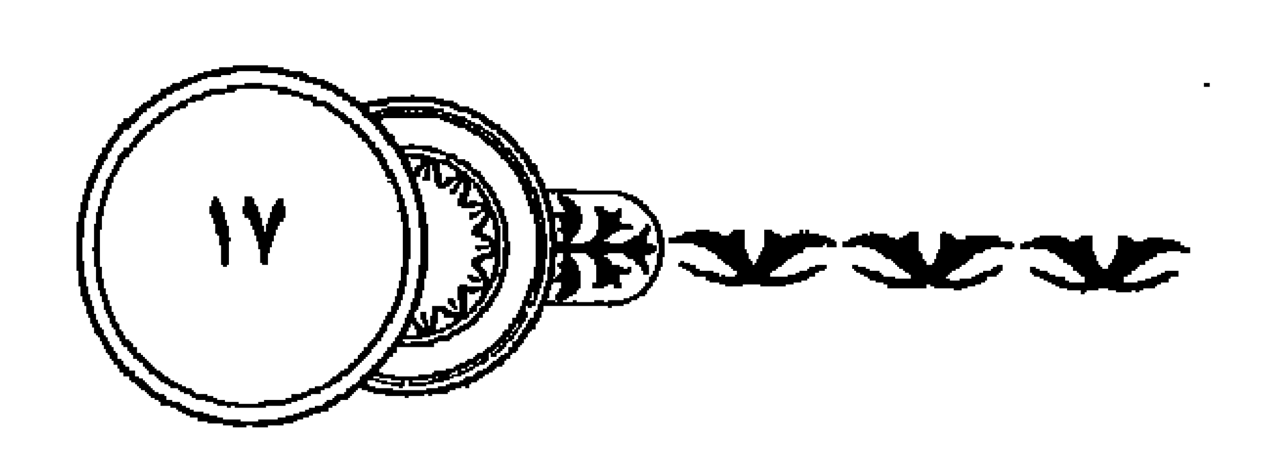
وهذا الكتاب يهتم بالفن كموضوع وليس كممارسات تنتمي إلى الوقت الحاضر (كأغاني الفيديو كليب الحديثة مثلا)، ومن ثم يمكن الحديث عن ممارسات تتفق مع تعاليم الشريعة الإسلامية وأخرى تتنافى معها.



وفي هذا الصدد يمكن اعتبارهذا الكتاب امتدادا للجدل المتنامي منذ نهاية القرن التاسع عشر- أي منذ قدوم مارون النقاش إلى مصر، وإنشاء أول فرقة مسرحية - حول مدى اتفاق هذا الفن مع تعاليم الشريعة الإسلامية، أم بعده كل البعد عنها، وقد دعم هذا الجدل ما نشاهده الآن من لقطات ساخنة سواء بسبب الموضوع الذي تتناوله هذه اللقطة أو تلك، أو بسبب نوعية الملابس التي ترتديها المطربات والممثلات التي في الغالب لا تخدم مضمون العمل، ولكنها تخدم فقط من ترتديها، وكأنها وسيلتها إلى تحقيق نجومية تضمن لها مكاسب مالية، وقد لاحظت كما لاحظ البعض أن هؤلاء السافرات يزدن من سفورهن بتقدمهن في العمر، وكأنه صراع للبقاء ضد الزمن ، وهذا كله بالطبع مما لا يتناسب مع تقاليدنا الشرقية المستمدة من تعاليم الإسلام.

والسؤال الذي يحاول هذا الكتاب الوصول إلى إجابة عنه ليس هو شرعية ممارسة الفن بوجه عام في مجتمع شرقي مسلم ، بل متى يفقد الفن هذه الشرعية، بعد التأكيد على وجودها عبر فصول، وهل تتعاظم هذه الشرعية بسبب عنصر المتعة الجمالية المصاحبة لتلقي وجبة فنية على اختلاف أنواع الفنون (رسم - نحت - موسيقى - فنون الفرجة مثل المسرح وخلافه...) أم لوجود دور حيوي يستطيع الفن لعبه ليكون قاطرة المجتمع للنهوض وهو الآن في أمس الحاجة إلى ذلك، وهل من نشاهدهم على الشاشة في الأعمال الدرامية وأغاني الفيديو كليب يمكن أن يُطلق عليهم لقب فنانين بسب تعاملهم بأدوات فنية، أم أن الفنان إنسان آخر غائب عن الساحة بسبب رغبات السوق واللهاث وراء تقنيات الفن في الغرب.

وأنا في محاولة البحث عن إجابات لهذه الأسئلة، لا أحاول تقديم فتوى شرعية لا أملك مقومات إصدارها ، كما اعتمدت على الكثير من المراجع سيتم وضع فصل خاص بها اعترافا بأهميتها ودورها في خروج هذا الكتاب ، والله الموفق ومنه الرشاد.



الفن في دولة الإسلام

كانت الفنون التي ظهرت قبل الإسلام في الجزيرة العربية مقصورة على الجزء الجنوبي منها، وكانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالديانة الوثنية، كما أن الآثار الفنية التي ظهرت في بعض المدن ذات الأصل العربي الواقعة على الحدود السورية وفي بلاد اليمن ترجع إلى العصر الإغريقي والروماني.

ولقد بدأ اهتمام العرب المسلمين بالفنون بعد انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى خارج شبة الجزيرة العربية، وكان ذلك في عهد خلفاء بني أمية اللذين تقلدوا الحكم سنة ٤١هـ، ومنذ ذلك الحين استمر اهتمام الحكام المسلمين بالفنون وصار قصر الخليفة هو سوق عكاظ الجديد، حيث يسعى كل شاعر إلى إلقاء قصائده أمام الخليفة، ولم تكن قصائد مدح الخليفة هي كل أنواع القصائد التي تلقى على مسامع الخليفة وحاشيته، بل كانت هناك أبيات أخرى تحتوي على الكثير من الحكمة والفلسفة، تُذَكِّر الخليفة بالشريعة الإسلامية، وأنها هي المصدر الحقيقي للسلطة التي يمن بها الله على واحد من عباده يحمل بين يديه مسؤولية الدين والدنيا.

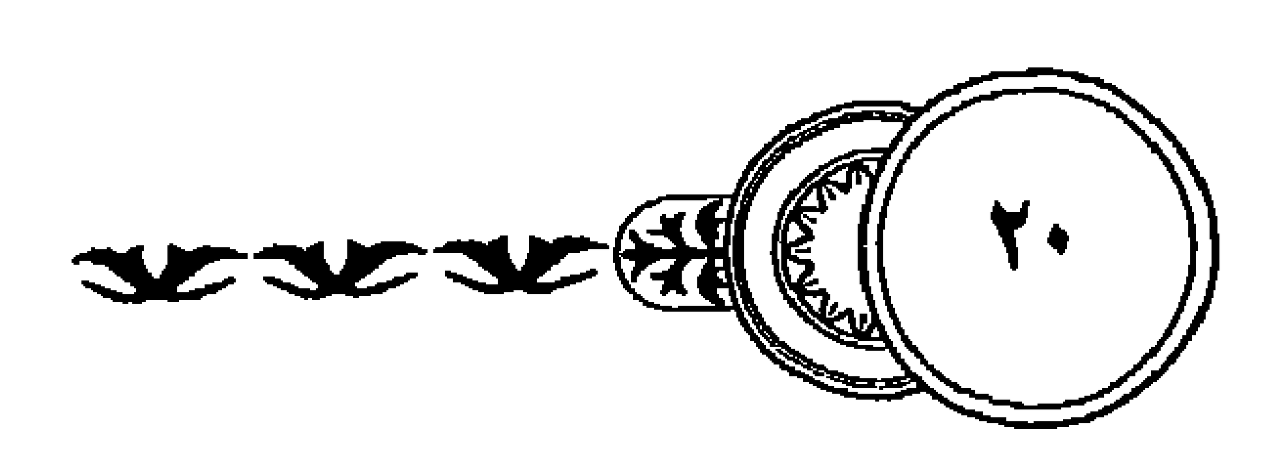
وكان لكل إقليم من الأقاليم التي خضعت للحكم الإسلامي طرز وأساليب فنية محلية، وانتقلت هذه الأساليب من قُطر إلى قُطر، كما أضاف الفنان إليها بعض الأساليب الجديدة التي تلاءمت مع الأحداث الاجتماعية الناشئة عن الدين الجديد ولقد نتج عن هذا الامتزاج فنون ذات طرز وأساليب جديدة تختلف عن فنون البلاد الأصلية، وكان هذا بتشجيع من الأسر الحاكمة سواء في العصر الأموي أو العصر العباسي أوالخلافات الإسلامية المستقلة في الأندلس ومصر وإيران وتركيا.

ويمكن القول بأن العرب في عهد النبي ﷺ لم يكن لهم فن خاص بهم يستحق الذكر سوى فن الشعر الذي كان الوسيلة الأدبية الوحيدة المنوطة بالتعبير عن كل التطورات السياسية والاجتماعية والدينية في شبه الجزيرة العربية، وقد استحسن النبي ﷺ بعض الأشعار، كما لقب حسان بن ثابت

بشاعر النبي ﷺ، وعندما قام العرب بفتح سوريا والعراق ومصر وإيران تبنوا الفنون الراقية في هذه البلاد، وتشير المراجع التاريخية إلى أن خلفاء الدولة الأموية الذين تولوا الحكم من سنة ٦٦١م إلى سنة ٧٤٩ م، استقدموا مهرة الصناع من شتى الولايات لإقامة المدن الجديدة وإنشاء القصور والمساجد واستعانوا في بناء مسجد دمشق بعمال من السوريين والبيزنطيين لتجميله بالفسيفساء، في حين أشرف على عمارته مهندس إيراني، ورحل كثير من الفنانين المصريين للعمل في تعمير بيت المقدس، ودمشق، ومكة، واتبع هذا التقليد العباسيون (٧٤٩-٩٤٥م) في استجلاب الفنانين من مختلف الأقاليم، ويذكر الطبري أنه عند تأسيس مدينة بغداد جمع العباسيون لها الفنانين من سوريا وإيران والموصل والكوفة وواسط والبصرة.

وهكذا بدأ أسلوب فني إسلامي ناشئ ينموا تدريجيا مشتقا على الأخص من مصدرين : وهما الفن البيزنطي والفن الساساني، ويُلاحظ اقتباس التعبيرات الفنية من هذين المصدرين ووجودهما جنبا إلى جنب في الآثار الإسلامية الأولى، مثل فسيفساء بيت المقدس (٦٩١-٦٩٢ م) وواجهة قصر المشتى التي ترجع إلى القرن الثامن، والصور المرسومة على جدران قصر عمرة (٧١٢م).

وكانت الآثار المسيحية في مصر وسوريا والعراق مصدرا لعدد من المواضيع الزخرفية التي وجدت في آثار العصر الإسلامي الأول، فالفن المسيحي أو القبطي معروف في مصر من المنحوتات والمنسوجات، وترجع أقدم المنسوجات القبطية إلى القرن الثالث الميلادي، وقوام زخارفها مواضيع آدمية أو هندسية أو نباتية، أما الأشكال الآدمية فهي المناظر المأخوذة عن الأساطير اليونانية والرومانية، وكانت تصور بأسلوب طبيعي، كما أظهر النساجون القبط مهارة وإتقانا في تصميم وتنفيذ نماذج من الزخارف النباتية



والهندسية، وابتكروا مجموعة متنوعة من الزخارف المتداخلة المتشابكة يعتبر بعضها نقطة بداية للزخارف الهندسية في الفن الإسلامي حلت تدريجيا مكان صور القديسين والمناظر المسيحية المعروفة، كما تأثر الفن الإسلامي أيضا بالزخارف المسيحية الشرقية المحفورة على العاج والمجوهرات.

تأثر الفن الإسلامي أيضا بالفن الإيراني والصناعات الإيرانية، كما تأثر بفنون قبائل الترك الرحل في شرق إيران ووسط آسيا، فاكتسب عناصر وأساليب زخرفية جديدة لم تكن معروفة حتى للمسيحيين الشرقيين.

وأخيرا، فلقد انتشر الفن اليوناني في المنطقة العربية، والتقى بالروح العربية، وحاول إخضاعها وحاولت هي الأخرى التخلص منه.

وكما يقول الفيلسوف الألماني اشبنجلر: " إن الحضارات تقوم مستقلة عن بعضها تمام الاستقلال، وكل منها تكون وحدة أو دائرة مقفلة، وليس بينها وبين غيرها من الحضارات غير منافذ من نوع خاص لا تسمح بنفوذ شيء لا يتلاءم وجوهر هذه الحضارة، وما تسمح به لا يلبث أن تحيله إلى طبيعتها ".

سمات الفن في العصر الإسلامي

لقد شاع في الكثير من كتب المؤرخين والباحثين في الفنون الإسلامية، أن الفن الإسلامي قام على التقليد، ولقد ذكرنا في الباب السابق تأثر الفن الإسلامي ببعض الفنون الأخرى نتيجة اتصاله بالحضارات الأخرى في عهد الفتوحات، ولكن هذا الرأي لا يتميز بالدقة، ولا يستند إلى فهم حقيقي لمقومات الفن الإسلامي والأسس التي يقوم عليها، فما وصل إليه الفنان المسلم من الابتكار والتنوع في الفنون المختلفة التي عالجها مدعاة للفخر والثناء، كما أن دقته ومهارته وإيمانه بعمله وصبره المستمد من تعاليم الدين الحنيف، صيرته إلى أعظم النتائج، وهذا يدل على أنه كان يملك القدرة على نقل الطبيعة نقلا دقيقا يكافئ على الأقل نقل الأوروبيين، ولكن هذا الاتجاه كان بعيدا كل البعد عن روح الفنان المسلم الذي تمتع بقدرات ابتكارية حققها في زخارفه المتعددة الجوانب كما حققها في أوزانه وقوافيه ومقاماته الموسيقية، وهذا يدل على أصالة وابتكار وعمق خيال وإيمان غير موجود في الحضارات الأخرى.

والفن الإسلامي الذي انتشر في الأقاليم العربية ما هو إلا صياغة جديدة للفنون السابقة للإسلام في هذه المناطق التي كانت تخضع لحكم غير عربي، ولكن بعد أن تأدبت بآداب الإسلام وتشربت روحه واستلهمت فحواه، فقد نلاحظ تآلفا ظاهريا في الأشكال ولكننا نلحظ أيضا اختلافا في الجوهر والمحتوى، وهذا الاختلاف يرجع إلى تأثر الفن في الإسلام بآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة المطهرة، فالعقيدة الإسلامية تمدنا بإيمان مطلق بالله الواحد القادر الخالق المبدع المصور، والإنسان في ظل هذه العقيدة السمحة إنما يبحث عن النجاة بالأعمال الصالحة والسعي الدءوب إلى الرزق الحلال، وأنه خلال كل ذلك يشعر بضآلته بالنسبة إلى هذا الكون الرحب المعجز.

وكان لهذه المبادئ عظيم الأثر في صياغة الفنون الإسلامية، فجعلت لها شخصيتها المستقلة – وهذا ما نفتقده الآن بسبب حمى تقليد الغرب – التي تبارت مع الفنون الأخرى المنبثقة عن ثقافات وحضارات لا تنتمي إلينا.

مبادئ الفن الإسلامي

يقوم الفن الإسلامي على أساس من عقيدة التوحيد التي هي درة الشريعة وباب الدخول إليها، وعلى تصور شامل للإنسان والحياة والكون، وتتميز شريعة الإسلام بوضوح تام في العقيدة، وشرح تفصيلي لدور الإنسان في الدنيا وعلاقته بكل ما حوله، حتى الغيبيات التي يكون الإيمان بها شرطًا لصحة العقيدة قام الإسلام بإجمالها وشرح ما يستطيع الإنسان استيعابه بشأنها، لذا فلا مجال للباطل في الفن الإسلامي من وثنيات وخرافات وأوهام وأساطير.

ميدان الفن الإسلامي هو ميدان التحسينات وليس ميدان الأساسيات، فجميع الأساسيات التي نحتاجها في حياتنا اليومية قد تناولتها الشريعة، وهذا التحديد لدور الفن - وإن كان سيغضب البعض- إلا أنه ضروري ومهم لوضع الأمور في نصابها، ولدرء أي خلل في التصور، والفنان إذ يدرك تمام الإدراك الدور المنوط به تحقيقه، يعمل على تفعيله بصورة مباشرة دون إضاعة الوقت في بعض مناظرات لا تفيد المجتمع، بل على العكس تكون في كثير من الأحيان مشتتة للجهود مثبطة للهمم، وهذا لا ينفي الدور الإيجابي لها في ظل توحد المفاهيم الأساسية اللازمة بين طبقة المثقفين.

إن وظيفة الفن هي توصيل مضمون معين يهتم الفنان بتقديمه إلى مجتمعه ومن ثم إلى البشرية كلها، ولابد لهذا المضمون من إطار جمالي يصنعه له الفن، وحين يبتعد الفن عن تقديم هذه الوظيفة فإنه لا يسمى حينئذ فنا - ذلك لأنه قد تخلى عن الجمال الذي هو إحدى سماته - وقد يسمى حينئذ مهارة أو حرفة والفن الإسلامي معنيٌّ بالطبع بالجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود الحس وإشعال الغرائز، وهذا لا يعني أنه ينحصر في إطار معين ، فالفنان المسلم يستطيع أن يعبر عن جمال الكون بنجومه وشموسه وأقماره والتناسق في أحجامها وحركتها ، وما بينها من ارتباط ، وجمال الطبيعة بما فيها من جبال وأنهار وبحار وأضواء وظلال وجوامد وأحياء وموسيقى يبثها النسيم وتعلو بها

الرياح، وتشدو عليها البلابل والعصافير، كما يستطيع أن يعبر عن جمال المشاعر بما فيها من حب عفيف وحب للآباء والأبناء وما فيها من خير وسمو، ويستطيع أيضا أن يعبر عن جمال القيم والأوضاع والنظم والأفكار والمبادىء والمؤسسات التي تخدم مجتمعه، بل يستطيع أن يعرض الحياة كلها بمعايير جمالية لا تعتمد على جمال جسم امرأة عارية أو قبلة حارة، أو علاقة لا يرضاها لأهله، أو أغنية تحمل إيحاءات جنسية، وكأن الأهم في الحياة بالنسبة للرجال هو الحصول على امرأة وبالنسبة للنساء هو اقتناص رجل وتطويعه.

والفن في التصور الإسلامي وسيلة لا غاية، والوسيلة تسمو بسمو الغاية التي تؤدي إليها، لذا فالإسلام لا يعترف بالفن للفن، فالغاية من خلق الإنسان معلومة للمسلمين جميعا :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١)

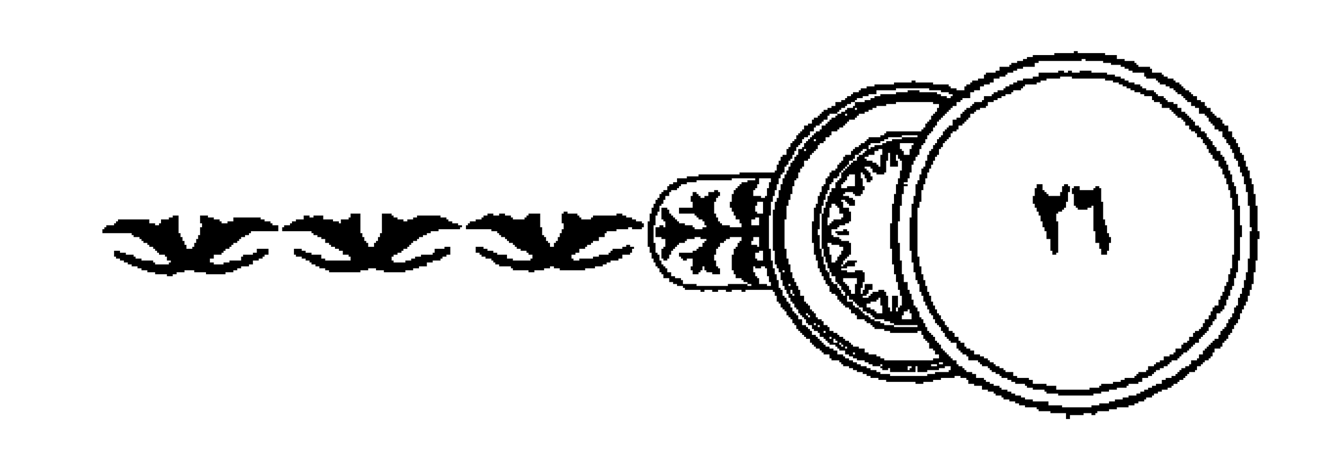
وإنما الفن لخدمة الحق والفضيلة والعدالة، وفي سبيل الخير والجمال لخدمة المجتمع.

إن الفن الإسلامي بعيد كل البعد عن الترف المبالغ فيه، ذلك لأن العقيدة الإسلامية لا تميل إلى الترف، فحياة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح تدل بوضوح على هذا الدرب، والدين الإسلامي دين اعتدال ووسطية، على أن فترات ازدهار الدولة الإسلامية والثراء الذي وصل إليه الخلفاء والأمراء في عصر الفتوحات جعلت الناس يفتنون بالأدوات والملابس الفاخرة والجواري الحسان، ومنهن من كن يمتلكن مواهب صاخبة، وكن يجدن الرقص والعزف والغناء، كما تبارى الخلفاء في بناء القصور الفخمة، وجلبوا لتزيينها أعظم الفنانين.

وهناك كراهية تصوير الكائنات الحية ، فلقد شاعت فكرة تحريم تصوير الكائنات الحية في الكتب والمؤلفات، والسبب في هذا هو وجود بعض الأحاديث

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.



الصحيحة التي يفهم منها أن تصوير الكائنات الحية حرام شديد التحريم، ولقد استقر رأي الكثير من المفسرين المحدثين على أن هذا التحريم لم يكن يقصد به في بادىء الأمر إلا صرف الناس عن عبادة الأوثان التي كانت شائعة عند كثير من الشعوب قبل الإسلام، وهو أمر كانت تقتضيه الحكمة في نشر العقيدة الجديدة، أو تعظيم بعض الأفراد بصورة تفوق الحدود التي تقبلها الشريعة ، فالإسلام يمجد الخالق فقط ويساوي بين جميع البشر، غنيهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم ، أما إذا كان الغرض من التصوير هو أغراض علمية أو إدارية – مثل استخراج بطاقة هوية أو وثيقة سفر – أو للزينة المباحة فهو أمر أجازه العلماء المحدثون.

صفات الفنان المسلم

تكلمنا في الباب السابق عن سمات الفن في العصر الإسلامي ومبادئه، وفي هذا الباب نتحدث عن صفات الفنان المسلم من خلال آيات القرآن الكريم المحكمة المفصلة البليغة المنطق المتجددة التأويل، والقرآن هو دستور كل مسلم يعلم أن الله سبحانه لم يفرط فيه من شيء.

ومن أهم صفات الفنان المسلم - كما يمكن استلهامها من القرآن الكريم - هو أنه لا يستكبر، والكبر لا يصح للمسلم بصفة عامة، لأن المسلم يعلم أن الله قد شبه المتكبرين بالمجرمين :

﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (١)

والفنانون من أكثر شرائح المجتمع تعرضا لآفة الكبر، لأن موهبته تشعره بالتميز عن سائر البشر، كما تجعله علَماً في مجتمعه مشارا إليه بالبنان، فإذا استسلم إلى ذلك وآل إلى ضعف نفسه، فيجب أن يعلم أن الله سينزع منه موهبته التي هي آية من آيات الله وضعها فيه :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (٢)

كما سيحرمه الله القدرة على تأمل جمال الطبيعة واستلهام آيات الجمال فيها، وبالتالي ينضب معين فنه وتنقلب الكرة عليه، فكيف يمن الله على عبد يكرهه:

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٣)

---

(١) من الآية ١٣٣ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف.

(٣) من الآية ٢٣ من سورة النحل.

ويجب أن يتذكر الفنان المسلم أن الكبر هو ما أخرج إبليس من الجنة وجعله ملعونا في الدنيا والآخرة، ويجب على الفنان المسلم ألا يهمل في تأديته للعبادات التي فرضها الله عليه بسبب كبر يصيب نفسه لأنه يعلم أنه سيحشر إلى الله تعالى كما تقول الآية الكريمة :

﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾(١)

ويستنكف أي يأنف ويترفع.

والفنان المسلم لا يختال على الناس أبدا بموهبته وقدراته الخاصة، ولا يتفاخر بما أتاه الله من نعمة الفن، فالله لا يحب كل مختال فخور :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾(٢)

والمختال هو الشخص المعجب بنفسه، والفخور هو الشخص كثير التعاظم بالمناقب، والفنان الذي يمشي في الأرض مرحا يملؤه الزهو والفخر، لابد من أن يعلم أن الله قد نهى عن ذلك، بل لقد سخر سبحانه ممن تعجبه نفسه، لأنه مهما وصل إلى مكانة تبهر أهل الأرض ، فهو في النهاية لن يخرق الأرض ولن ترتفع هامته لتطول الجبال :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾(٣)

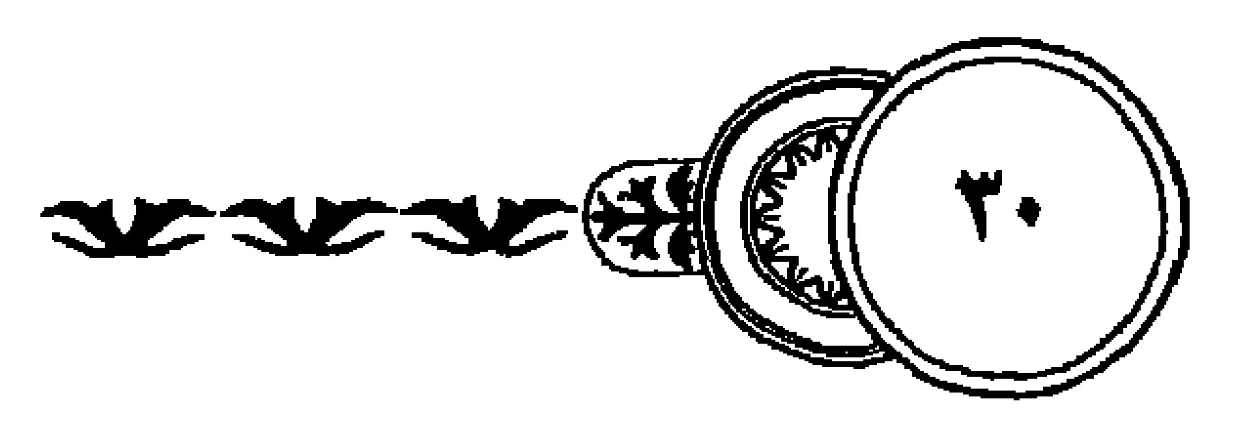
والواقع المؤلم يحمل لنا قصصا لفنانين يثورون ويغضبون لو سألهم رجل المرور عن رخصة قيادتهم، فيسترسلون في السباب وتوجيه اللعنات والتنبؤ لرجل المرور بسوء العاقبة والمصير، فبعضهم يعتبر مثل هذا التصرف من رجل المرور إهانة لتاريخهم الفني الزاخر، ومن يفعل هذا فقد تسرب الكبر إلى نفسه، وبدأ

---

(١) من الآية ١٧٢ من سورة النساء.

(٢) من الآية ٣٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ٣٧ من سورة الإسراء.



يمشي في الأرض مختالاً فخوراً، وواجب المجتمع الذي رفع هذا الفنان إكبارا لموهبته أن يُذَكِّره بوصية لقمان الحكيم لولده كما ذكرها القرآن الكريم :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١)

ولا تصعر خدك أي لا تشح به ولا تُمِلْهُ كِبْراً وتعاظما.

والفنان المسلم لا يصاب بالغرور ولا تغره الدنيا أبداً، والمشكلة أن النجاح الفني يُشعر الفنان بأنه قد ملك الدنيا بما عليها ومن عليها، ولم لا، وهو يسمع الأكف يكاد يفتك بها التصفيق، والعيون تملؤها الدهشة بما قدمه، والقلوب تعلق بنظرة منه، ولكن عليه أن يتذكر دائما أن متاع الدنيا هو متاع الغرور :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (٢)

والشهرة التي يمنحها الفن للموهوب قد تجعله ينسى أن للحياة هدفا خلقنا الله من أجله، فيستسلم لغرور الدنيا وينسى آخرته، وينسى قول الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٣)

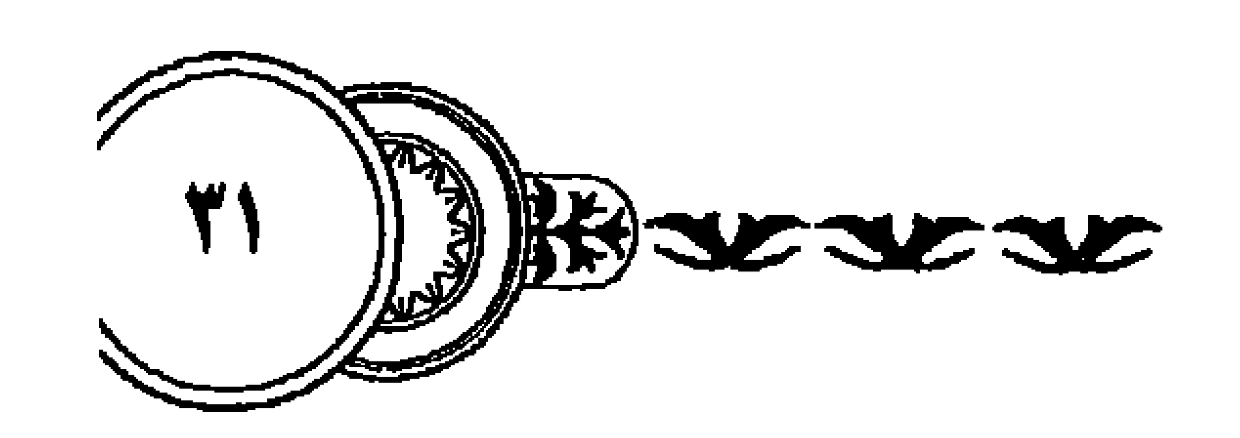
والله سبحانه وتعالى سيسأل من غرتهم الحياة الدنيا من الإنس والجن عن رسله الذين خبروهم بمثل هذا اليوم، وسيشهدون على أنفسهم في وقت لن تفيدهم فيه شهادتهم :

---

(١) الآية ١٨ من سورة لقمان.

(٢) من الآية ٢٠ من سورة الحديد.

(٣) الآية ٥١ من سورة الأعراف.



﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾(١)

والفنان المسلم يعلم أن الله سبحانه قد حذر الناس من آفة الغرور لأنها تنذر بالعذاب يوم القيامة، فلا يغتر الفنان برحمة من الله ستتغمده وهو مُصرٌّ على معصيته متمسك بها :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾(٢)

وقد تمر على الفنان سنوات تسرقه بسبب صخب الناس من حوله، فعادة ما يحاط الفنان برجال السياسة والمال والصحافة وغيرهم، كل يمنيه بما تشتهي نفسه، فينسى في معيَّتهم أن لكل إنسان موعداً لا يخلفه أبدا، وتغره الأماني فيهوى:

﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾(٣)

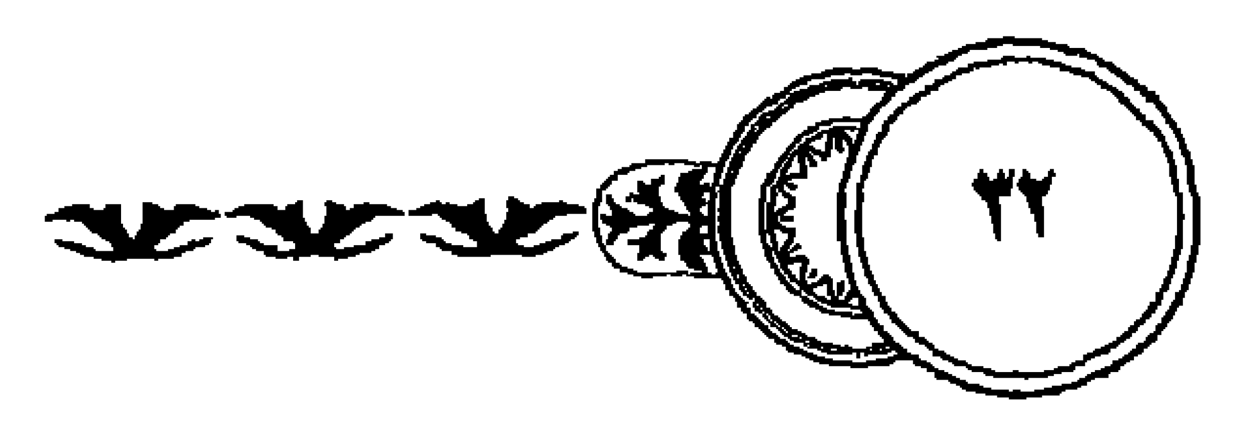
والأماني قد تدفع ضعاف النفوس من الفنانين المبتدئين والفنانات بالتضحية بما لا يجب التضحية به، موعودين بقفزات فنية أكبر يغريهم بها شياطين الأنس

---

(١) الآية ١٣٠ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٥ من سورة فاطر.

(٣) الآية ١٤ من سورة الحديد.



ممن لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ومن يستسلم لذلك فقد خسر نفسه، وما قيمة أن يكسب الإنسان الدنيا بزينتها ويخسر نفسه، والله سبحانه يقول :

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١)

والحقيقة المؤسفة أن البعض يقعون في الفخ ، ويستسلمون لنزوات منتجين أو مخرجين ماتت قلوبهم، أو لأثرياء يلهثون وراء الوجوه المعروفة، فيفرح هذا البعض العفن بمجد سريع، ولكنه أيضا سرعان ما يزول، لأن من يفعل هذا يكون بلا موهبة فالموهوب لا يبيع نفسه مهما طال انتظار بزوغ فجر موهبته، فلا يجب أن يُطيع فنان في بداية الطريق من يساومه على مبادئه فيخسر احترامه لنفسه واحترام الناس له :

﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢)

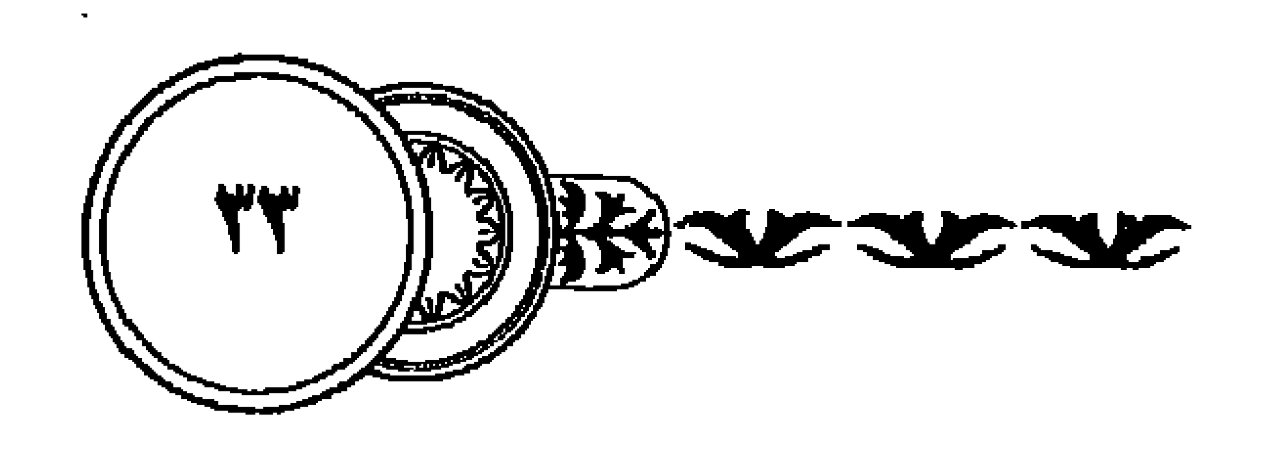
كما أن الفنان المسلم يدرك تمام الإدراك – والدنيا كلها حوله تبتسم له بوجهها الحسن – أن ما عند الله أفضل وأبقى، وأن هذه الدنيا المقبلة بحب، لن تدوم له، لأنها قط لم تفعل ذلك من قبل، لذا فهو يمني نفسه بالآخرة الباقية :

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٣)

والفنان المسلم لا يكون فاجرا أبدا، والفاجر هو من يمضي في المعاصي والفواحش غير مكترث، وهو المائل عن الطريق القويم، والفواحش هي الأشياء القبيحة الشنيعة من قول وفعل، وفحش الأمر فحشا أي جاوز حده فهو فاحش :

---

(١) الآية ١٢٠ من سورة النساء.
(٢) الآية ١٥١ من سورة الشعراء.
(٣) الآية ١٥ من سورة آل عمران.



﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾(١)

ولهذا، فالفنان المسلم لا يتجاوز الحدود في سلوكياته وتصرفاته ولا سيما إبداعه الفني، والحدود في هذا الصدد هي حدود الله التي يعرفها كل مسلم ويحفظها عن ظهر قلب :

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝ ﴾(٢)

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾(٣)

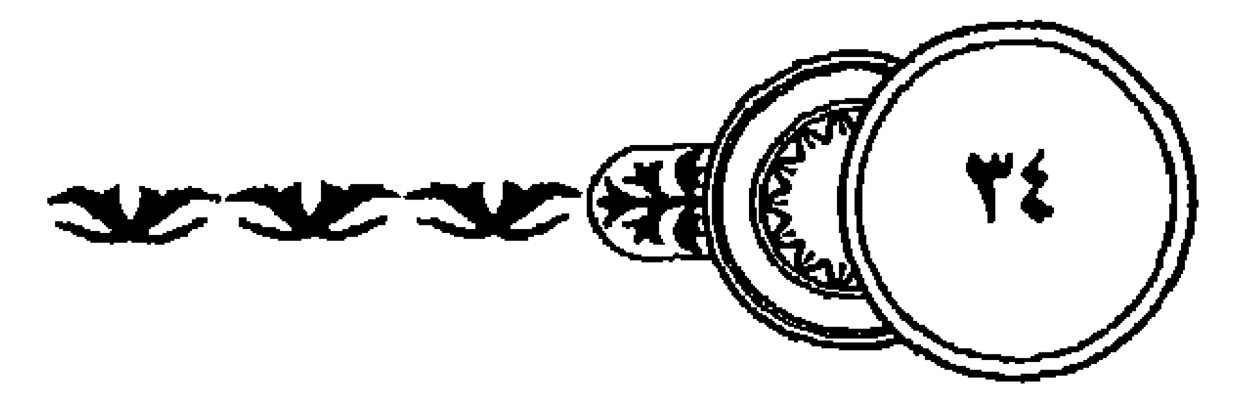
كما لا يصح للفنان المسلم أن يكون فاسقا أبدا، والفاسق هو الخارج عن أمر ربه المجاوز لحدوده، ولا يمكن لفنان مسلم أن يخرج عن أمر من منحه موهبته، ومنحه روحا تشعر بالجمال وتبثه، والله سبحانه يكره الفاسقين ولا يهديهم حتى يكون مأواهم النار:

﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾(٤)

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾(٥)

---

(١) من الآية ١٥١ من سورة الأنعام.
(٢) الآيات ٤٠:٤٢ من سورة عبس.
(٣) الآية ١٤ من سورة الانفطار.
(٤) من الآية ٥٩ من سورة البقرة.
(٥) من الآية ٥ من سورة الصف.



﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ (١)

والفنان المسلم لا يفسد في الأرض من بعد إصلاحها، ولا يصح أن يكون فاسدا :

﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ (٢)

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (٣)

والغريب أن بعض الأعمال التي يعتبرها البعض المُضَل أعمالا فنية تعتبر فسادا في الأرض:

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤)

وإن كانوا يرفضون هذا الطرح ويعتبرون أنفسهم مُصلحين في الأرض فأنا أقول لهم كما قال الله عز وجل :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (٥)

---

(١) الآية ٢٠ من سورة السجدة.

(٢) من الآية ٥٦ من سورة الأعراف.

(٣) من الآية ٢٠٥ من سورة البقرة.

(٤) من الآية ٦٤ من سورة المائدة.

(٥) الآيتان ١١، ١٢ من سورة البقرة.

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١)

﴿ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (٣)

والفنان المسلم لا يضن على الناس بمهارة منحها الله له، وإذا سئل أجاب خاصة إذا كان السائل من الشباب الذي يبغي السير على ذات الدرب :

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٤)

والفنان المسلم لا يروج الشائعات، والأمر المعروف أن الوسط الفني هو الأكثر تعرضا للشائعات، والحقيقة المحزنة أن مصدر خروج هذه الشائعات هم الفنانون أنفسهم، وعادة ما يكون السبب في إصدار هذه الشائعات وترويجها هي رغبة البعض في محاربة البعض الآخر في الرزق، وهذا أمر بعيد كل البعد عن تعاليم الشريعة وأحكام الإسلام قال تعالى:

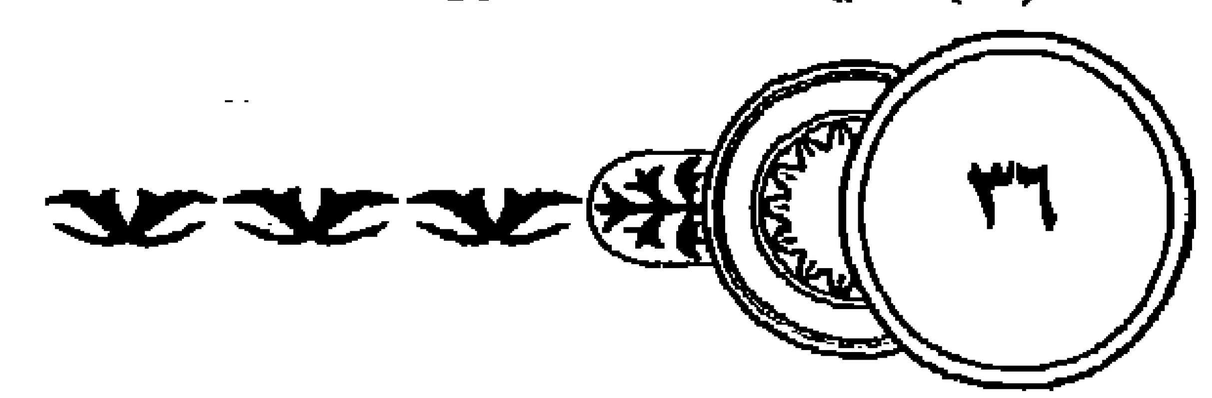
---

(١) من الآية ٧٤ من سورة الأعراف.

(٢) من الآية ٨٦ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٢٥ من سورة الرعد.

(٤) الآية ٣٧ من سورة النساء.



﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(1)

والمرجفون تعني المشيعين لأخبار كاذبة، وأرجف القوم تعني خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن، والإرجاف هو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطرابات.

والفنان المسلم لا يحسد زميلا له أراد الله له شهرة أكبر أو نجاحا ألمع أو مالا أيسر، لأنه يعلم أن الحسد عادة ذمها الإسلام، ولقد قيل إن الحسد أشد ضرا من السحر، فالسحر قد لا يصيبك بينما سيصيبك الحسد لا محالة، إلا ما شاء الله وهو على كل شيء قدير :

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(2)

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾(3)

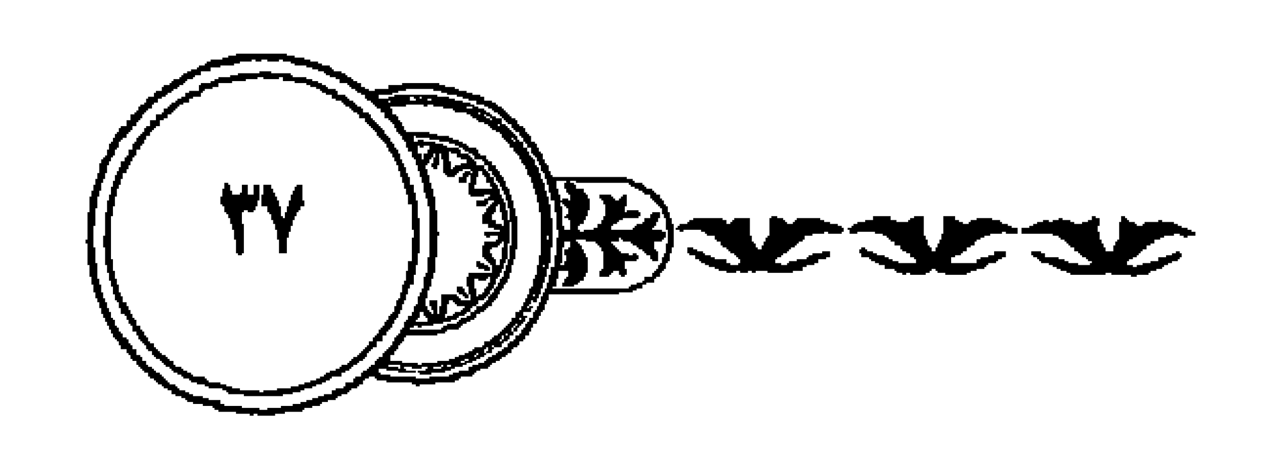
والفنان المسلم لا يشيع الفاحشة بين الناس، سواء بإنتاجه الفني، أو بترديده لسقطات قام بها زملاؤه من الفنانين، لأنه يعلم أن الله سبحانه حليم ستار، يستر عباده، كما أنه سبحانه يأبى أن تنتشر أخبار الفحش في المجتمع المسلم الموحِّد، لأن هذه الأخبار تنزع الثقة والاحترام من النفوس، وتفرز جيلا جديدا يتعلل بسقطات الأجيال السابقة فيكون في فُحشه أضل وأبشع، وما الشخص المُعتاد على ترديد الفاحشة إلا فاحش هو نفسه، ويرضيها بذكر زلات غيره، والله يعلم ما في الصدور قال تعالى:

---

(1) الآية ٦٠ من سورة الأحزاب.

(2) من الآية ٥٤ من سورة النساء.

(3) الآية ٥ من سورة الفلق.



﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾(١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢)

والفنان المسلم لا يسخر من أحد لكونه أقل منه موهبة، أو لأنه غير موهوب لأنه يعلم أن الله تعالى ينهى عن ذلك، ويخبر الساخر بأن من يسخر منه قد يكون أعظم فضلا منه، والله يعلم ونحن لا نعلم قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٣)

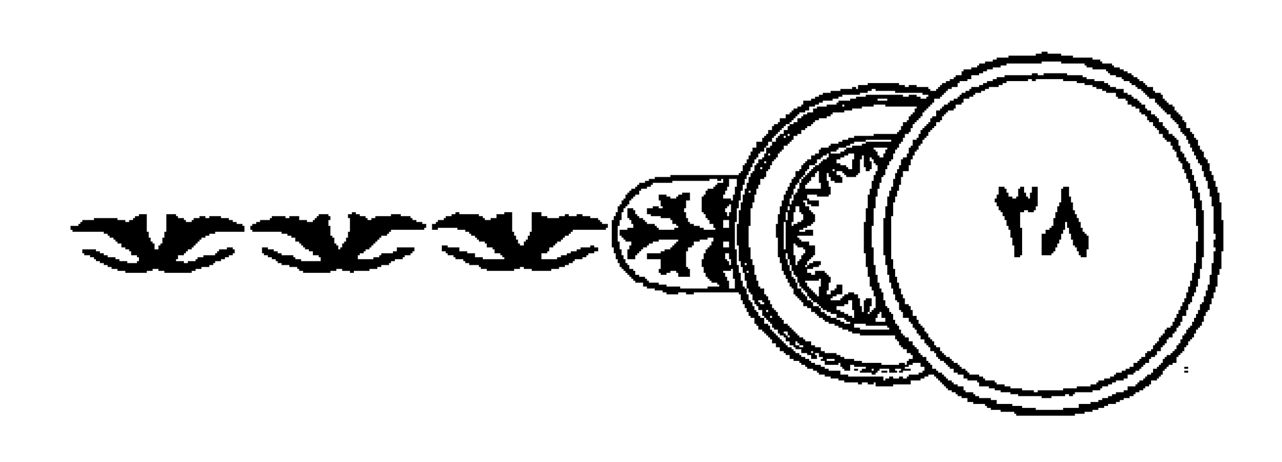
والشخص الحاقد هو الشخص الذي يملأ قلبه الحقد والضغينة، والفنان المسلم يفرح بنجاح زملائه وإجادتهم لما يقومون به من أعمال، وربما يساعدهم للوصول إلى هذا النجاح.

قال تعالى :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (٤)

---

(١) من الآية ١٤٨ من سورة النساء.
(٢) الآية ١٩ من سورة النور.
(٣) الآية ١١ من سورة الحجرات.
(٤) الآية ٤٧ من سورة الحجر.



﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

ومن الأشياء التي تحدث بكثرة في الوسط الفني، سرقة الأفكار، وهذا الأمر يعاني منه بصورة كبيرة شباب الكتاب، فكم من مرة نسمع عن شاب تقدم بفكرة لكاتب كبير فيقوم بسرقتها ونسبتها إلى نفسه، وهو لا يفعل هذا إلا بسبب الطمع وبهذا الطمع يمني نفسه بالاستمرار على الساحة بكل جديد شائق، وعادة ما يكون هذا الكاتب قد كون شبكة من العلاقات تمنحه نفوذا يقف به ضد صرخات الشاب المكلوم في ثمرة إبداعاته، وتكون النهاية هي موت كاتب شاب ربما كان استمراره سيمثل إضافة حقيقية للخريطة الثقافية في المجتمع، لذا فالفنان المسلم لا يطمع أبدا قال تعالى:

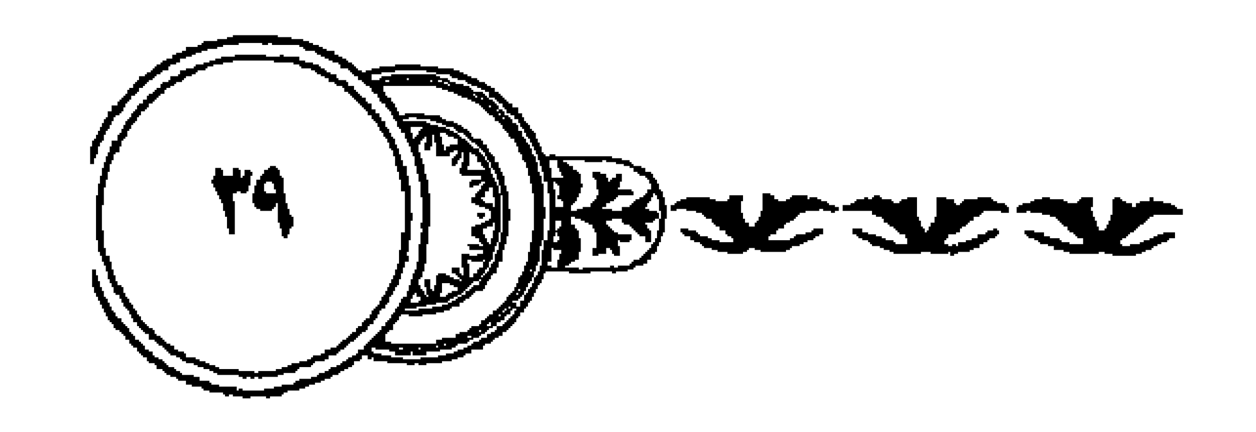
﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٢)

ومن الأشياء التي تصيب الناس بالدهشة، قيام فنان بتمثيل دور في مسلسل ديني، وتراه يؤديه بإتقان شديد وإحساس عميق، حتى إنه قد يتلوا آيات تحريم الخمر بصوت يجعلك تبكى أو تكاد، فتندم أشد الندم إذا كنت قد شربتها في يوم من الأيام، ثم تفاجأ بصورة لنفس الفنان في إحدى الحفلات وفي يده كأس خمر فتصدم في الإحساس الصادق الذي كان يؤدي به، وتتساءل في نفسك، هل حقا يؤمن الفنان بما يقول، أم أنها مجرد حرفة تجلب له المال، ومهما كانت الإجابة

---

(١) من الآية ١٠ من سورة الحشر.

(٢) الآية ٣٢ من سورة النساء



على هذا السؤال، فإن الفنان يتحول من مثل أعلى وقدوة، إلى مثار سخرية وتهكم لذا، فالفنان المسلم يلتزم بما يقوله للناس، وتكون أفعاله في حياته الخاصة مطابقة للمبادىء التي ينشرها بفنه قال تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (١)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ (٢)

وكثيرا ما نسمع عن فنانة عاهدت الله على الالتزام وارتداء الحجاب، ورفض الأعمال التي تتطلب منها غير ذلك، ثم يفاجأ الناس بها قد خالفت ما عاهدت الله عليه، وليتها تعود إلى سيرتها الأولى، بل نلاحظ أنها ترتدي ثيابا أشد فجورا وهي بنقضها عهد الله تطمع أيضا في مغفرته، وتعتقد أن سنوات قادمة ربما في آخر العمر ستمنحها فرصة التكفير عن هذا العهد المنقوض، ولكنها لا تعلم أن نقض عهد الله جرم لا يضاهيه جرم آخر ، وأنها وهي المشهورة تضل بفعلتها هذه كثيرات من العوام ربما شاركوها العهد نفسه، لذا فالفنان المسلم لا ينقض عهده مع الله أبدا، والله سبحانه يقول :

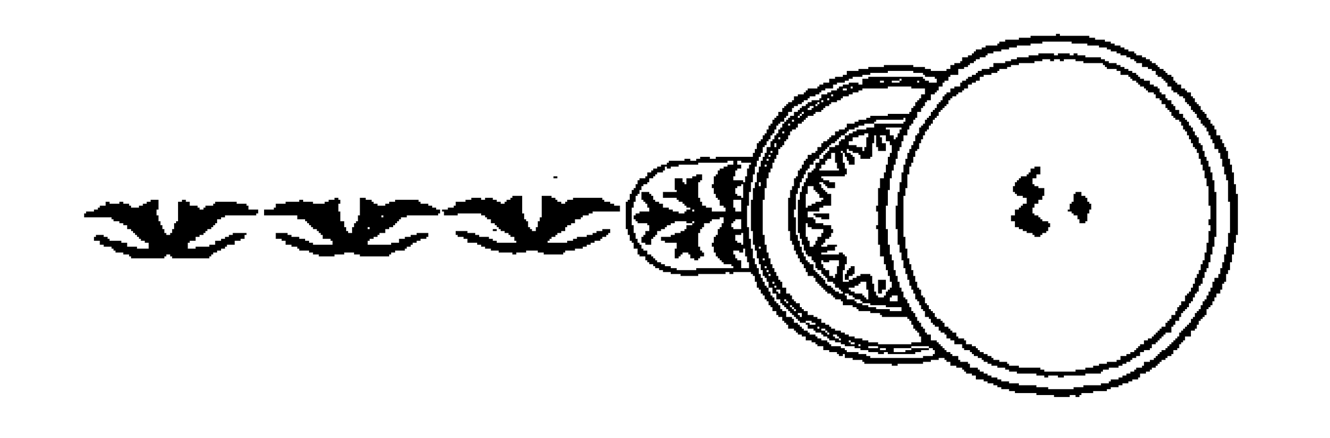
﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (٣)

---

(١) من الآية ٤٤ من سورة البقرة.

(٢) الآيتان ٢،٢ من سورة الصف.

(٣) الآية ٢٧ من سورة البقرة.



﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١)

ولا يجوز للفنانة تعليل نقضها للعهد بحاجتها إلى المال، لأن هذا هو الثمن القليل الذي تتحدث عنه الآية الكريمة :

﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

والفنان المسلم لا يخون قضية أمته، وهو المدافع عنها بأعماله وتصريحاته ولا يخون دماء الشهداء، الذين ربما يجسد بطولاتهم بأعماله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (٣)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ (٥)

---

(١) الآية ٧٧ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٩٥ من سورة النحل.

(٣) من الآية ٥٨ من سورة الأنفال.

(٤) الآية ٢٧ من سورة الأنفال.

(٥) من الآية ٥٢ من سورة يوسف.

والفنان المسلم لا يدافع إلا عن الحق والعدل، ولا يدافع عن الباطل والجور والخيانة لأن الله سبحانه ينهى عن ذلك، ويرغب المؤمنين عنه:

﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (١)

و خصيما في الآية أي مدافعا.

والفنان المسلم لا يمكر لأنه يعلم أن الله أشد مكرا، ونحن نلحظ في الوسط الفني انتشار ظاهرة المكر، فالمكر آفة لا تتناسب مع أخلاقيات الفنان المُسلم الذي يقرأ كتاب الله ويعلم منه أنه خير الماكرين :

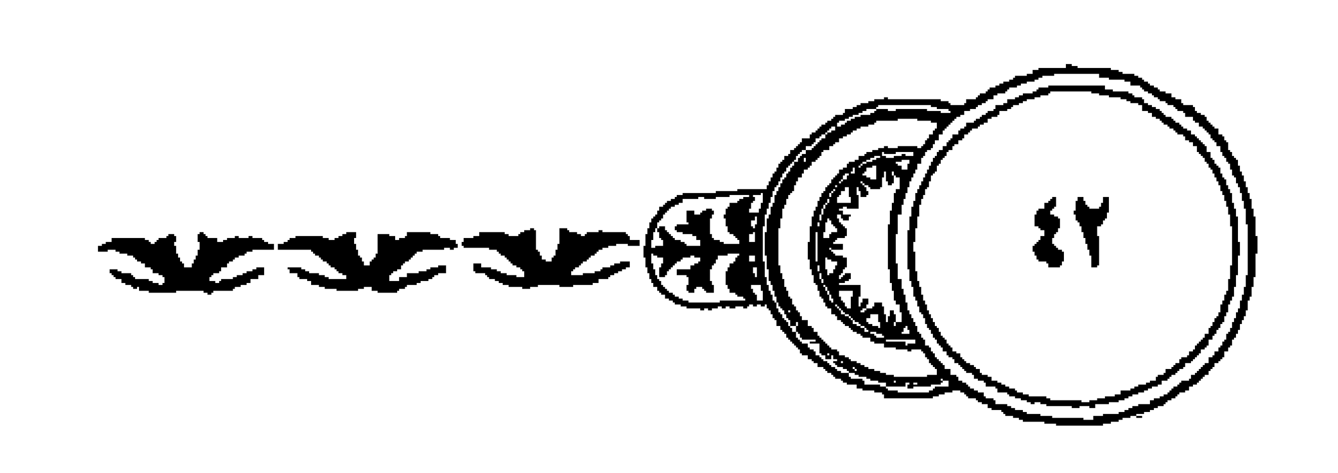
﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (٢)

والفنان المسلم يعلم تمام العلم أن موهبته فضل من الله ونعمة ويشكره كثيرا عليها، ويذكر للناس فضله سبحانه، ولا ينسبه إلى نفسه، فالله تعالى هو المنعم على عباده، الجدير بالشكر والثناء، وقليلا ما يشكرون:

﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (٣)

---

(١) من الآية ١٠٥ من سورة النساء.
(٢) الآية ٥٤ من سورة آل عمران.
(٣) من الآية ١٣ من سورة سبأ.



والفنان المسلم يتأمل خلق الله ويستلهمه في فنه ليذكر الناس بعظمة الخالق التي لا يضاهيها شيء في الكون :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

فيتأمل خلق السماوات وما فيها من نجوم وأقمار، والأرض وما فيها من جنات وأنهار، ويتأمل تعاقب الليل بسحره وخياله، والنهار ببركته وعطائه:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (٢)

ثم يتأمل المراحل التي يمر بها الجنين في بطن أمه حتى يخرج إلى الوجود إنسانا كامل الحواس، فياض المشاعر، وكيف يصير من العدم مخلوقا متمتعا بنعمة الاختيار، وتسخر له الأرض يمشي في مناكبها، وله فيها مبتغاه :

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٣)

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (٤)

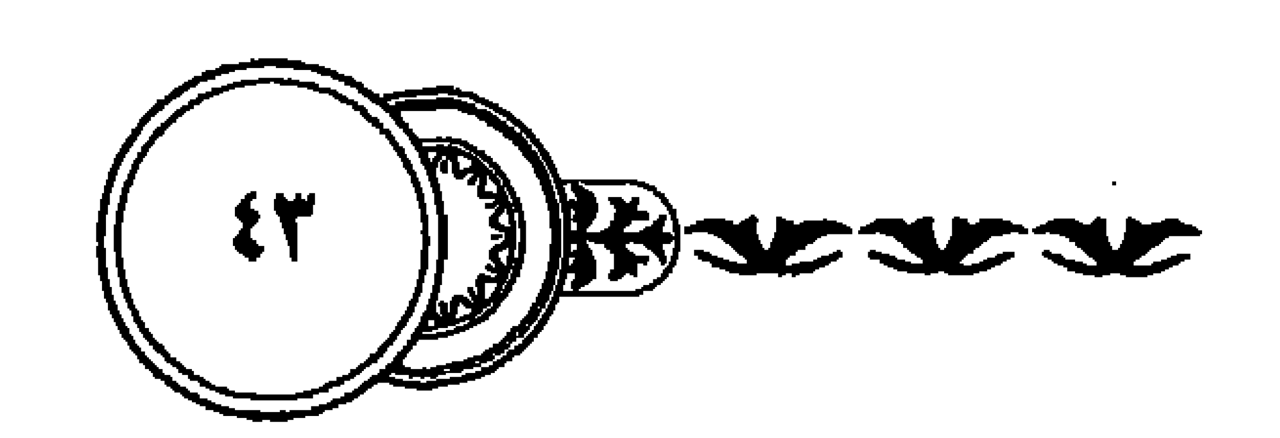
---

(١) الآية ٢٩ من سورة البقرة.

(٢) الآيتان ١٩٠، ١٩١ من سورة آل عمران

(٣) الآية ١٤ من سورة المؤمنون.

(٤) الآية ٥ من سورة الطارق.



ثم يتأمل الحياة على الأرض التي يدرك دور الماء فيها، وكيف يحيي المطر الأرض بعد موتها، ثم يتجمع ليصبح أنهارًا وبحارًا تسير فيها الفُلْك، إن شاء الله أغرقها وإن شاء تصل إلى بر الأمان:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١)

ثم يتأمل خلق الحيوانات وسنة الله فيها، وما في خلقها من جمال، ويدرك كيف ميز الله الإنسان عليها، وجعلها مسخرة بأمره، ولو أراد الله لفتكت بنا :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

ثم يتأمل الألوان في هذا الكون ، ويكوّن مفهوما واضحا عن الإبداع التشكيلي الذي منحه الله للطبيعة :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٣)

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة البقرة.

(٢) الآيات ١٧:١٩ من سورة الغاشية.

(٣) الآية ٢٧ من سورة فاطر.

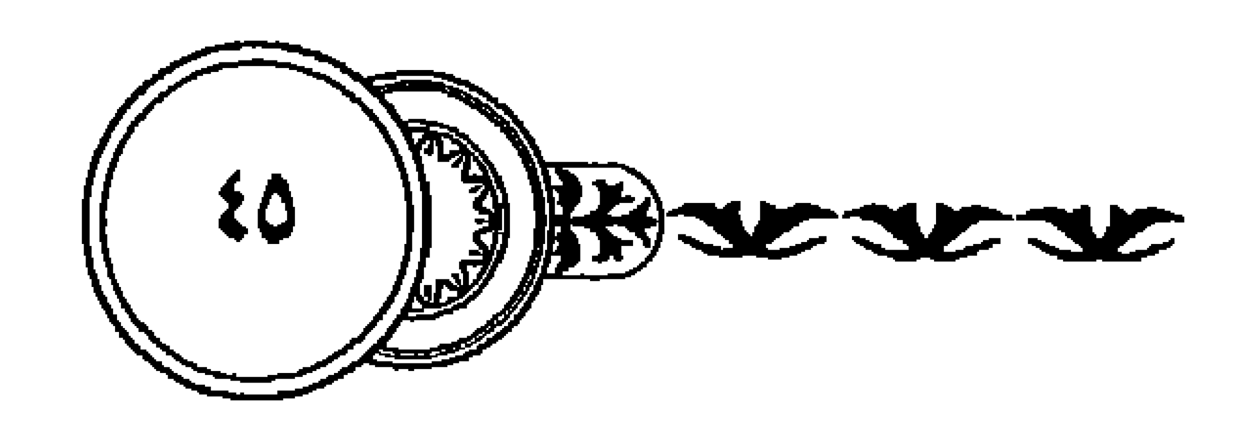
ثم يدرك في النهاية أن إبداعه وتصميماته مهما فاق جمالها حدود التصور البشري، فإنها لا يمكن أن تقارن بإبداع الخالق القدير :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١)

وأخيرا فإن صفات الفنان المسلم تتجاوز هذه الصفات إلى الصفات العامة للإنسان المسلم من خلال تعاليم الكتاب وسنة الرسول ﷺ، من حلم وكرم وكياسة وشهامة ونصرة... إلى آخر تلك الصفات التي تميز الفرد المسلم عن غيره من أتباع الديانات الأخرى.

---

(١) الآيتان ٣٥،٣٦ من سورة الطور.



الشعر الجاهلي

قبل الحديث عن الشعر في العصر الإسلامي، أو ما يسميه البعض الشعر الإسلامي ، لابد من نظرة سريعة على الشعر الجاهلي تبدأ بتعريف لكلمة الجاهلية ثم وصف البيئة التي خرج منها هذا الشعر وهي بالطبع شبه الجزيرة العربية.

تطلق كلمة الجاهلية على أحوال العرب قبل الإسلام لتفشي الوثنية والصراعات القبلية وبعض العادات السيئة، ولقد تطرق القرآن الكريم لكلمة الجاهلية في قوله :

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ ﴾(١)

المراد هنا هو الجهل التوحيدي الديني لا الجهل بعلم من العلوم، وذكرت دائرة المعارف والكتب الأخرى أن اليهودية أطلقت كلمة الجاهليين على الأقوام الذين سبقوا ظهورها، كما أن النصارى أطلقوا هذا المعنى أيضا، إضافة إلى أن بعض المستشرقين يحددون فترة الجاهلية بقولهم : تطلق كلمة الجاهلية على الفترة التي خلت من الرسل. أي بين الرسولين العظيمين السيد المسيح والرسول الأعظم محمد عليهما الصلاة والسلام .

و القرآن الكريم هو أصدق الكتب التي يمكن أن تحدثنا عن الجاهلية، والنص القرآني ثابت لا سبيل إلى الشك فيه، لذا فالعرب في الجاهلية ليسوا أولئك البدو المعزولين المنعزلين في صحاريهم القاحلة المترامية دون تواصل ثقافي مع الحضارات المجاورة، لأن القرآن يحدثنا بأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم من الأمم، بل كانوا على اتصال قوي جدا وذي بعد سياسي لدرجة أنه قسمهم أحزابا وفرقهم شيعا، والدليل على ذلك أن القرآن يحدثنا عن الروم وما كان بينهم وبين الفرس من حرب انقسمت فيها العرب إلى حزبين مختلفين حزب يشايع هؤلاء، وحزب يناصر أولئك يقول تعالى:

﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾(٢)

---

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة.

(٢) الآيات ١:٥ من سورة الروم.

وهكذا نجد أن القرآن يصف عناية العرب بسياسة الروم والفرس، وهو يصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم :

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝ ﴾ (١)

وكانت إحدى هاتين الرحلتين إلى الشام حيث الروم، والأخرى إلى اليمن حيث نفوذ الحبشة والفرس، وسيرة النبي ﷺ تحدثنا أن العرب تجاوزوا مضيق باب المندب إلى بلاد الحبشة طلبا للمهاجرين الأوائل الذين هاجروا إليها وطلبوا جوار النجاشي ملكها الذي اتسم بالسماحة والعدل، وهذا يدل على معرفتهم بأوضاع العالم من حولهم، وهذه السيرة نفسها تحدثنا بأنهم تجاوزوا الشام وفلسطين إلى مصر، فلم يكونوا إذن كما يتصور البعض معتزلين، ولم يكونوا إذن بمنأى عن التأثر بثقافة الفرس والروم والحبشة والهند وغيرهم من الأمم المجاورة لهم.

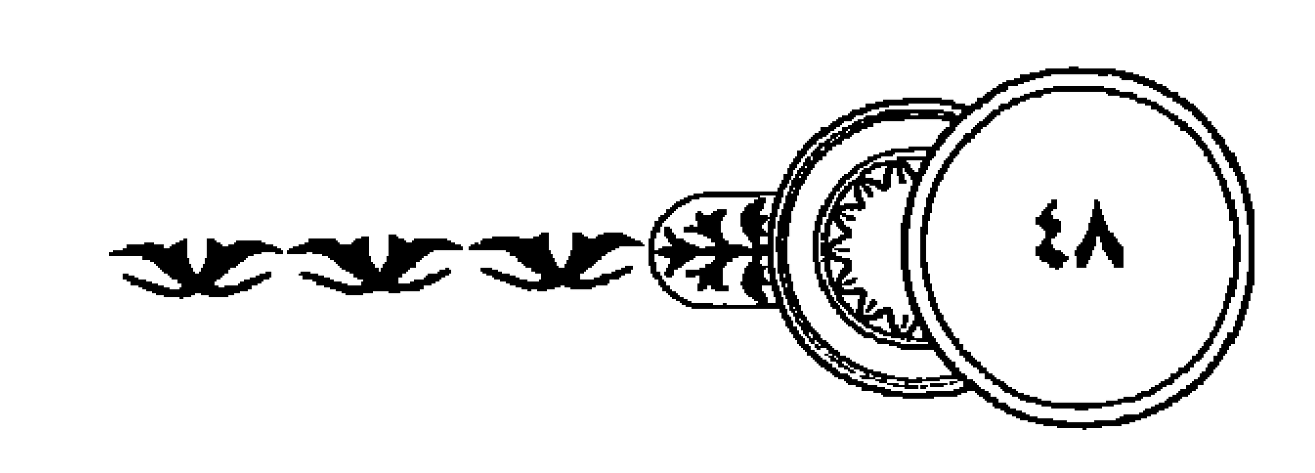
ومن الضروري الآن التعرف على طبيعة شبه الجزيرة العربية، تلك البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي، كما أنه من الضروري التعرف على العرب كجنس، ومن ثم التعرف على اللغة التي تكون منها هذا الشعر وهي اللغة العربية.

تبلغ مساحة شبه الجزيرة العربية ثلاثة ملايين كيلومتر مربع، وقد سميت مجازا بـ (الجزيرة العربية) لإحاطة البحار والأنهار بها، فمن الجنوب يحدها المحيط الهندي ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الشرق الخليج العربي ، ويحدها من الشمال الشرقي نهري دجلة والفرات ، وهي بلاد أكثرها صحاري، وأهم أقسامها اليمن وحضرموت والحجاز، وكان سكانها من العرب.

والعرب من الشعوب السامية، نسبة إلى سام ابن نبي الله نوح، وفي تاريخهم يوجد مصطلح (العرب البائدة) و(العرب الباقية)، والعرب البائدة كعاد وثمود وهؤلاء لم يصل إلينا شيء عن آثارهم وأخبارهم إلا ما ذكره القرآن الكريم، أما

---

(١) الآيتان ١، ٢ من سورة قريش .



العرب الباقية فهم القحطانيون، ويسمون (العرب العاربة)، والعدنانيون ويسمون (العرب المستعربة).

وكان سكان شبه الجزيرة العربية يعيشون في قبائل تسودها فكرة العصبية القبلية، أما دياناتهم فكانت متعددة، حيث انتشرت اليهودية في يثرب، والنصرانية في نجران والحيرة، ولكن غالبيتهم كانوا يدينون بالوثنية التي ترتكز على تقديس الحجارة والينابيع والأشجار والأصنام (كاللات والعزى)، التي كانت أكثر شيوعا عند سكان شبه الجزيرة العربية.

أما من ناحية أخلاقهم، فقد كان لأهل البادية صفات خاصة تأصلت مع حياتهم وهي وليدة الصحراء التي عودت الإنسان العربي أن يكون طليقا وقنوعا وصبورا على الشقاء والعناء، كذلك جعلته شجاعا وعفيفا، كما أنه حافظ على فكرة الضيافة والكرم، فهم أقوام يؤثرون الضيف على النفس، والكرم عندهم سجية متأصلة في نفوسهم، وكانوا يكرمون حتى عدوهم، كما كانوا يوفون بالعهد ويجيرون من طلب جوارهم.

والمتتبع لثقافة سكان هذه المنطقة يلاحظ أن لهم من الشعر والقصص والأمثال ما يعكس تاريخهم كما يعكس بيئتهم التي كانوا يعيشون فيها.

والطبيعة الصحراوية عظمت قيمة الدواب (الثروة الحيوانية) لدى الإنسان العربي، فحيوانات الجزيرة العربية منها الأليفة كالإبل والأغنام والأبقار والخيول والحمير والبغال، ومنها الوحشية كالأسود والنمور والفهود والذئاب والضباع والثعالب، كما يكثر الجراد أحيانا فيقضي على الأخضر واليابس في الجزيرة ونلاحظ أن الجمل كان بالنسبة للعربي هو أنفع الحيوانات وأعزها عند العرب، فهو سفينة الصحراء، ولديه القدرة على تخزين لترات كثيرة من الماء يمكن استخدامها في الشرب عند الضرورة ، كما يؤكل لحمه ويشرب لبنه ويلبس وبره وتحاك منه الخيام، وبعدد الإبل كان يقدر مهر الفتاة وتفض الخصومات بين القبائل، وهكذا بات الجمل رفيقا للعربي ولا تصلح الصحراء دونه، أما الأغنام والأبقار فكان العربي يعيش على ألبانها ولحومها وجلودها ويلبس من صوفها، وبالنسبة للخيول

فعقيدة العربي كانت تعتبر عِزّهُ بالإبل وشجاعته بالخيل التي تمتاز بالسرعة في الكر والفر وإلحاق الأذى بالعدو، كما أنها استخدمت للتسلية واللهو.

هذا بالنسبة للثروة الحيوانية، أما بالنسبة للثروة النباتية فللزراعة شأن في بعض الحواضر كالطائف ويثرب وخيبر التي كانت تشتهر بأنواع الأشجار والمزروعات كالخضروات والفواكه ، فقد كانت القبيلة ترحل بإبلها وأغنامها في طلب العشب والكلأ، كما اشتهرت اليمن والمناطق المحيطة بأشجار الصنوبر والطيب والبخور، كذلك اشتهرت الطائف بالكروم والنخيل بالإضافة إلى وجود أشجار الحنظل والسدر.

وبصفة عامة كانت مكاسبهم وحياتهم المعيشية موقوفة على الأمطار، حيث نشطت الزراعة في المناطق التي تهطل فيها الأمطار وتتوافر فيها المياه خاصة قرب العيون والآبار.

ولقد عُني الأدب العربي بالدواب، واهتم شعراء العصر الجاهلي بوصفها ومدحها، وإبراز مدى تأثير الدابة على حياة العربي.

واللغة العربية مكنت الإنسان العربي برشاقتها من التعبير عن المشاعر والمفاخر والأفكار، فهي غنية في مفرداتها وهي في ذلك تتفوق على جميع اللغات الحية الأخرى، فضلا عن كونها غنية في صياغة قواعدها.

وأصل اللغة العربية أنها لغة سامية – نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام – مثلها مثل اللغات الآرامية والعبرية والكنعانية والسريانية والفينيقية والحبشية والتدمرية.

وتنقسم اللغة العربية إلى لغة الجنوب اليمنية، ولغة الشمال وهي لغة أهل الحجاز، ولقد تطورت لغة الحجاز حتى وصلت إلى الحالة التي رأيناها في الأدب العربي الجاهلي، وكان من أهم أسباب تكوين هذه اللغة الأسواق كسوق عكاظ الذي كان ينعقد في أول ذي القعدة ولمدة عشرين يوما، ومؤتمرات الخطابة في

الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة، فضلا عن إقامة مسابقات الخيول وتبادل عروض التجارة.

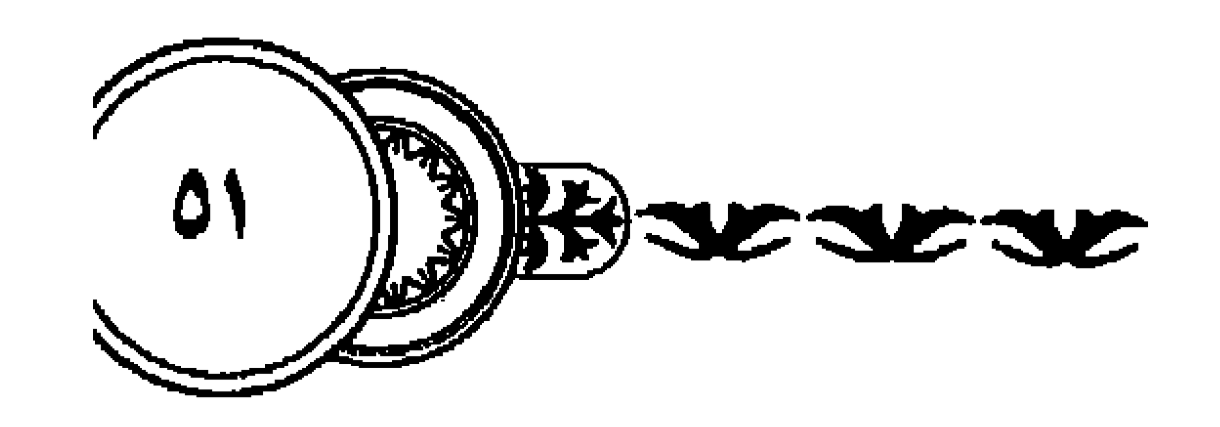
والشعر عند العربي هو ملكة أو براعة راسخة في النفس، كما أنه سجل لتراثه وتراث قبيلته بأسلوب جميل مشرف، أما كلمة الأدب فكانت تدل على معان متعددة في العصر الجاهلي، فهي دعوة الناس إلى مأدبة، كما دلت في العهدين الجاهلي والإسلامي على الخلق النبيل، ثم أطلقت لفظة أدب على تهذيب النفس وتعليم المرء المعارف والشعر، وفي القرن الثاني عشر استعملت لفظة أدب في الشعر والنثر وعلم العروض والنقد الأدبي.

وتتمثل القيمة الفنية في الشعر الجاهلي في المعاني والأخيلة والعاطفة والموسيقى الشعرية، حيث نظم الشاعر الجاهلي أكثر شعره على أوزان طويلة التفاعيل، والوزن هو التفعيلات الشعرية الموسيقية الرتيبة التي تتكون منها الأبيات وتسمى البحور الشعرية، والقافية وهي ما يأتي به الشاعر في نهاية كل بيت من أبيات القصيدة أبرزها الحرف الأخير الذي يختم به البيت وضبطه النطقي.

والقيمة التاريخية للشعر الجاهلي أنه كان وسيلتهم الأشهر- ويمكن القول إنها تقريبا كانت الوحيدة- لنقل مشاعر العرب قبل الإسلام ومعاناتهم وشكواهم فالشعر الجاهلي يعتبر وثيقة تاريخية بما يخص أحوال الجزيرة وأحوال العرب الاجتماعية قبل بعثة النبي ﷺ .

ومن خصائص الشعر الجاهلي الصدق، حيث كان الشاعر يعبر عما يشعر به حقيقة وما يختلج في نفسه بالرغم من أنه لم يكن يخلو من المبالغة في كثير من الأحيان.

ومن خصائصه أيضا البساطة، وسرها يكمن في الحياة الفطرية التي كان يعيشها الشاعر التي جعلت شخصيته الإنسانية بسيطة، وكان أثر ذلك واضحا على الشعر الجاهلي.



و كان البيت الواحد من الشعر يجمع معانيَ تامة، فمثلا قالوا في امرئ القيس بقصيدته (قفا نبك) إنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

و كان يحمد في الشاعر الجاهلي أن يكون طويل النفس، أي أن يطيل القصائد وأحيانا كثيرة كان يخرج عن الموضوع الأساسي، وكان هذا يسمى بالاستطراد.

والشعر الجاهلي مشهور بروعة الخيال فيه، وقد يُعزى هذا الخيال إلى اتساع أفق الصحراء أمام الشاعر الجاهلي وهذا قد يؤدي إلى اتساع الخيال في شعره.

وكان للقصيدة الجاهلية شكل معروف لا تحيد عنه، ويكون التباري بين الشعراء في اللعب داخل نفس الإطار، حيث كانت تبدأ القصيدة الجاهلية بذكر الأطلال ثم وصف الخمر وبعدها ذكر الحبيبة، ثم ينتقل الشاعر إلى الحماسة والفخر ووصف الراحلة ... إلخ

أما أغراض الشعر الجاهلي فكانت الوصف، حيث حرص الشاعر الجاهلي على وصف كل ما كانت تراه عيناه، وقد شمل الحيوان والنبات والجماد، والمديح والشكر والإعجاب والتربح، والرثاء: وهو ذكر الميت ومدحه وعادة ما كان يُنْظَم لأبطال القبيلة وزعمائها، والهجاء، وقد شاع هذا النوع بسبب العصبية القبلية وكثرة الغارات، فذكروا عيوب الخصم، والفخر وهو المباهاة، حيث كان الشاعر يفتخر بقومه وبنفسه وبشرف النسب والشجاعة والكرم، والغزل، حيث امتلأت حياة الشاعر بذكر المرأة، وهو نوعان: الغزل العفيف، والغزل الماجن والخمر التي شربها بعض الشعراء المترفين ووصفوها مفتخرين، والزهد والحكمة وكان الشاعر الجاهلي يفخر بزهده وبحكمته التي هي نتاج تأملاته في الحياة، ثم كان الوقوف والتباكي على الأطلال الذي كان في الغالب هو مستهل معظم القصائد الجاهلية إن لم تكن جميعها.

أشهر شعراء العصر الجاهلي

إن أشهر شعراء العصر الجاهلي هو من لقب بالملك الضِّليل - ذو القروح - امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حِجر آكل المُرار الكندي، المقدم بالإجماع على جميع الشعراء، وأول من وقف على الأطلال وبكى الديار والصحب، ووصف فأجاد، وأبرز شعراء الطبقة الأولى من شعراء العصر الجاهلي، ولشعره مذاق لا تكاد تجده لدى شاعر آخر، وهو مزيج من عزة الملوك وإباء الفرسان ورقة الشعراء العشاق المحبين :

بَكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تَبْكِ عينك إنّما ... نحاول مُلكاً أو نموت فنعذرا

ولعله أقدم الشعراء الذين يروى لهم شعر كثير، ويتحدث الرواة عنهم بأخبار كثيرة فيها تطويل وتفصيل، ونحن نعلم أن الرواة يتحدثون بأسماء طائفة من الشعراء زعموا أنهم عاشوا قبل امرىء القيس وقالوا شعرا، ولكنهم لا يروُون لهؤلاء الشعراء إلا البيت أو البيتين أو الأبيات القليلة، وهم لا يذكرون من أخبار هؤلاء الشعراء إلا الشيء القليل الذي لا يغني، وهم يعللون قلة الأخبار والأشعار التي يمكن أن تضاف إلى هؤلاء الشعراء ببعد العهد وتقادم الزمن.

أما بشأن امرىء القيس فالرواة لا يختلفون في أنه رجل من كندة - وهي قبيلة من قحطان - وهي قبيلة يمنية ينتمي إليها امرؤ القيس.

وهناك الكثير من الأساطير والأحاديث التي قصت حول حياة امرىء القيس وهذه القصص لم تشع بين الناس إلا في عصر متأخر، وأغلب الظن أنها نشأت في عصر تالٍ للعصر الجاهلي، وأكبر الظن أن الذي أنشأ هذه القصة ونماها إلى ما صارت عليه هو تلك المكانه الذي احتلتها قبيلة كندة في الحياة الإسلامية منذ تمت للنبي ﷺ السيطرة على شبه الجزيرة العربية حتى أواخر القرن الأول للهجرة.

والاعتقاد الراسخ عند بعض النقاد أن أسرة كهذه الأسرة الكندية - لها ما لها من شأن - لا تصطنع القصص ولا تؤجر القصّاصين لينشروا لها الدعوة ويذيعوا عنها كل ما من شأنه أن يرفع ذكرها ويعلي شأنها.

لذا فأغلب الظن أن ما يروى من أخبار كندة في الجاهلية متأثر من غير شك بعمل هؤلاء القصاصين، وقصة امرىء القيس بنوع خاص تشبه من وجوه كثيرة حياة عبد الرحمن بن الأشعث الكندي الذي ثار بالحَجَّاج، وخلع عبد الملك، وعرّض دولة آل مروان للزوال، وكان سبباً في إراقة دماء المسلمين من أهل العراق والشام، وكان الذين قتلوا في حروبه يحصون فيبلغون عشرات الآلاف، ثم انهزم فلجأ إلى ملك الترك، ثم أعاد الكرة فتنقَّل في مدن فارس، ثم استيأس فعاد إلى ملك الترك، ثم غدر به هذا الملك فأسلمه إلى عامل الحجاج، ثم قتل نفسه وهو في طريقه إلى العراق، ثم اجتثت رأسه وطوّف به في العراق والشام ومصر، فقصة امرىء القيس تمثله لنا مطالبا بثأر أبيه، وتمثله طامعا في الملك، وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث يرى أنه ليس أقل من بني أمية استحقاقا للملك، وكان يطالب به، والقصة أيضا تمثل لنا امرأ القيس متنقلا في قبائل العرب، وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث متنقلا في مدن فارس والعراق، وهي تمثل امرأ القيس لاجئًا إلى قيصر مستعيناً به، وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث لاجئًا إلى ملك الترك مستعيناً به، وهي تمثل لنا أخيراً امرأ القيس وقد غدر به قيصر، كما غدر ملك الترك بعبد الرحمن، وهي تمثل لنا بعد هذا وذاك امرأ القيس وقد مات في طريقه عائداً من بلاد الروم، وقد مات عبد الرحمن في طريقه عائدًا من بلاد الترك.

إذن من اليسير أن نفترض بل أن نرجح أن حياة امرىء القيس كما يتحدّث بها الرواة ليست إلا لوناً من التمثيل لحياة عبد الرحمن استحدثه القصاصون إرضاء لهوى الشعوب اليمنية التي كانت تعيش في العراق في العصر الإسلامي واستعاروا له اسم الملك الضلّيل اتقاء لعمال بني أمية من ناحية، واستغلالاً لطائفة

يسيرة من الأخبار كانت تعرف عن هذا الملك الضليل من ناحية أخرى، وهذه الخاصية تعد من الخواص الرائعة في عمل الفن والفنانين وتبرز في ظل حكم الطغاة، حيث يُمكنهم الفن من توعية العامة ضد الظلم الواقع على أخيارهم دون إثارة عمال هؤلاء الطغاة ، معتمدين في ذلك على ذكاء العامة في تحليل النصوص وفهم المغزى منها.

وخلاصة القول في هذا المقام، أن شخصية امرىء القيس أشبه ما تكون بشخصية الشاعر اليوناني هوميروس التي لا يشك مؤرِّخو الآداب اليونانية أنها قد وجدت حقاً، رغم أنها أثرت في الشعر القصصي بالفعل، وكان تأثيرها قوياً باقيًا ولكنهم لا يعرفون من أمرها شيئاً يمكن الاطمئنان إليه، وإنما ينظرون إلى هذه الأحاديث التي تروى عنه كما ينظرون إلى القصص والأساطير لا أكثر ولا أقل فامرؤ القيس هو الملك الضِّلّيل حقاً لأنه الملك الذي لا يعرف عنه شيء يمكن الاطمئنان إليه، والغريب في هذا الأمر أن طائفة من الشعر تنسب إلى امرىء القيس على أنه قالها حينما كان متنقلاً في القبائل العربية يمدح هذه ويهجو تلك.

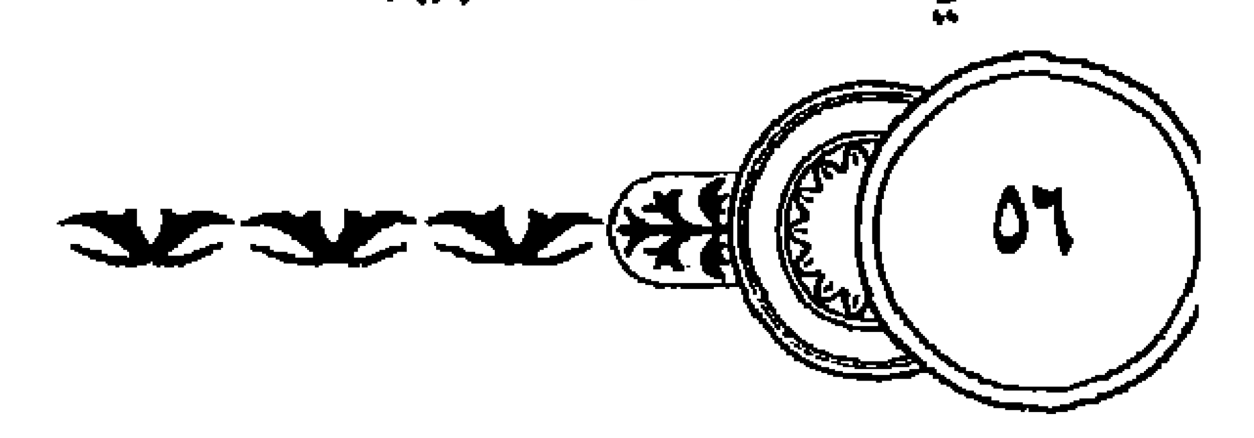
وخلاصة القول تنتهي بنا أيضا إلى أن أكثر هذا الشعر الذي نسب لامرىء القيس ليس من امرىء القيس في شيء وإنما هو مضاف إليه، وقام بذلك العرب أنفسهم، وقد نُظم بعض الذي نُسب لامرىء القيس في عصور إسلامية تالية ولأسباب مختلفة، ووُثِّق باسمه حين قام الرواة بتدوين الشعر في القرن الثاني للهجرة، ولكن هذا لا ينفي كونه أفضل الشعراء وقوفا على الديار وما يتصل بذلك من بكاء، كما تحسب له براعته في ذكر أيام لهوه مع العذارى، وعتابه لصاحبته، وما يتصل بذلك من وصف لها، وبراعته في ذكر الليل، وجمال نظمه عن الصيد ووصف الفرس.

إذن، فالثابت الظاهر أن امرأ القيس كان قد نبغ في وصف الخيل والصيد والسيل والمطر، وأنه قد استحدث في ذلك أشياء كثيرة لم تكن مألوفة من قبل وهو أول من شبه الخيل بالعصي والعقبان وما إلى ذلك، ولكن ليس كل ما ينسب إليه هو من نظمه.

وهناك شاعر آخر لا يصح الحديث عن الشعر الجاهلي دون سرد ولو القدر اليسير عنه، لأنه الأقرب إلى قلوب العرب، قدمائهم ومحدثيهم، وهذا الشاعر هو أبو الفوارس عنترة بن شداد.

ولا يمثل عنترة ـ في اعتقادي ـ ظاهرة شعرية متميزة عن أشعار غيره من الشعراء الجاهليين، من حيث البناء أو المعنى، فقد بكى الأطلال ووصف الديار كما بكوا ووصفوا، وافتخر كما افتخروا، وشكا الهوى كما شكوا، غير أن هناك ظاهرة جعلته يحظى بوقفة خاصة في هذه الدراسة، ترتد إلى فروسيته الأصيلة التي نسجت ملحمة شعرية أشبه بغيرها من الملاحم في الآداب الإنسانية عامة.

لقد مثّل عنترة سيرة شعبية فردية من خلال شعره الذي صور في مجمله حياة فارس مغمور ظلمته قبيلته، ومنعه أبوه حق النسب، إرضاء لأعراف اجتماعية جائرة، وتقاليد قاسية، فثار هذا الفارس على تلك القيم التي أنزلته منزلة العبيد وراح يجهد النفس، ويغامر بحياته ليتبوأ منزلة السيد الحر بين قومه، ووسيلته في ذلك شعر أصيل ينفث من خلاله ما ينمّ على قدرة فنية في نقل ما يحسّه بأسلوب شاعري عذب مؤثّر، فضلاً عن شجاعة وإقدام نادرين عُرف بهما بين الناس طوال أيام حياته الحافلة بالمغامرات والصعاب، حيث استعملها دون تردّد في درء الأخطار ومواجهة الأعداء، في حين دلّت أخلاقه الكريمة على طيب منبته وشيم ذوي النفوس الكبيرة.



انطلق عنترة في مواجهة مأساته الاجتماعية من الواقع، ولم يحبّذ الهروب إلى الوراء في تلك المواجهة، بل عمد إلى إثبات الذات داخل الكيان الاجتماعي الذي رفضه، وأنكر حضوره ضمن السادة، وحجتنا في ذلك أن هذا الشاعر الفارس كان يمكنه أن يختار عالم الصعلكة- مثلاً- أسوة بغيره من الشعراء الفرسان الصعاليك، ولكنه اختار سبيلاً آخر في مواجهة مشكلته، إذ ظل يصارع المظالم التي سُلطت عليه دونما فرار أو مقاطعة ليعيد اعتباره واعتبار إخوته بين قومه وعشيرته.

وكان الشعراء في الجاهلية يفتخرون بفروسيّتهم في ظل المفاهيم الاجتماعية القبلية السائدة، فهذا شاعر يفتخر بنفسه وقومه، وذاك يفتخر بالرصيد التاريخي والبطولي للقبيلة التي ينتمي إليها، وشعر الفخر والحماسة جُلُّ شعر الجاهليين لأن حياتهم ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالنزاعات والخلافات كما أسلفنا.

وإذا كانت القبيلة تجمعها قيم وأعراف في علاقتها بالقبائل الأخرى في أوقات الحرب والسلم، فإن لها أيضاً قيمها الاجتماعية وقانونها الذي يحكم البناء القبلي من حيث التماسك الأسري والاجتماعي والاقتصادي.

فعلى مستوى النوع - مثلاً - يحافظ الجاهلي على شرفه وكرامته، ليس بالمحافظة على المرأة فحسب، بل إن المرأة هي جزء لا يتجزأ من حسبه ونسبه وبذلك، فإن ابن القبيلة التي تتألف من الأسياد الأشراف لا يتزوج إلا من الحرائر لأن الزواج من الأمة، فضلاً عن كونه يخالف أو يتناقض مع ناموس القانون العام للقبيلة، فهو مرفوض أصلاً، وذلك لعدم وجود تكافؤ في مثل هذا الزواج، وهذا يقودنا إلى الإقرار بوجود تمييز طبقي يتمثل - أصلاً - في عدم الاعتراف

بالمساواة بين السادة والعبيد، فالمجتمع الجاهلي - رغم بداوته - هو مجتمع أرستقراطي تحكمه قيم ومعايير ثابتة لا يكاد يحيد عنها.

ولكن قد يحدث أحياناً أن ينجب سيد أطفالاً من أمة، فمع عدم تحريم الاتصال الجنسي في العرف القبلي بين السادة والإماء اللواتي ينظر إليهن - دوماً - على أنهن من ممتلكات السيد، وله حق التصرف فيهن من حيث التمتع والبيع أو العتق متى شاء، فإنَّ ما يحرمه هذا العرف هو الاعتراف بنسب هؤلاء الأبناء إليه، وبذلك فإن الابن الذي يولد من أمة يظل عبداً لأنه ابنٌ هجين، ومن ثمَّ لا يُلحَق البتَّة بصلة الوالد إلا فيما ندر.

ولا شك أن ذلك القانون الاجتماعي، قد أثر تأثيراً عميقاً في نفوس هؤلاء الأبناء الذين يظلون خاضعين لعرف جائر، لاسيما ممّن جُبلت نفوسهم على العزة والإباء، وعدم القدرة على تحمل الذل والخنوع.

وفي ضوء ذلك التمييز الذي يسلب العبيد أبسط حقوقهم الطبيعية نشأ الإحساس بمقت ذلك الأسلوب الجائر في المعاملة الاجتماعية، لكن هذا الإحساس سرعان ما تحوّل إلى إعلان الثورة والمناهضة لدى كثير من الأفراد، ومثل ذلك بعض الشعراء الفرسان الذين لم يترددوا في إعلان الثورة على قبائلهم التي أبت الاعتراف بنسبهم، وما يترتّب على هذا النسب من حقوق، وجرّدوا سيوفهم للدفاع عن شرفهم وكرامتهم، بل عن وجودهم، وتمثلت هذه الثورة في أجلى مظاهرها فيما عُرف بظاهرة الصعلكة التي نعتقد أن من أسبابها المباشرة استفحالَ التمييز الطبقي القبلي، وبذلك فقد مثل هؤلاء أحد أطراف الصراع الطبقي بحكم انتماء جلّهم إلى طبقة العبيد، أو ممّن هم في حكم العبيد حين أهملتهم القبيلة أو طردتهم، وتخلّت عنهم بعد خلعهم.

ولكن هناك حقيقة لا يجدر بنا التغافل عنها، وهي أنه ليس كل الشعراء الفرسان الذين رفضوا الانقياد للعبودية سلكوا سبيل الصعلكة، فعنترة بن شداد العبسي – مثلاً – عاش في ظل طبقة اجتماعية قبلية أرستقراطية تمجّد طبقة السادة والأشراف، وتعْتد اعتداداً مفرطاً بالحسب والنسب، ومن ثمَّ لم تمنح عنترة ومن على شاكلته من العبيد حق الانتماء القبلي، وحين يفقد الإنسان حق الانتماء القبلي، فذلك يعني – ببساطة – أنه يحرم أبسط الحقوق التي تبدو طبيعية، غير أن نفسية هذا الرجل فطرت على الإباء وعدم الخضوع للذل والمسكنة، ومن هنا لم يحتمل حياة العبودية التي ابتلي بها بسبب أمه الحبشية، وحين نذكر العبودية فذلك يعني حياة الفقر والذل والانصياع المطلق للسيد المالك.

عمل عنترة على تخطي مرحلة العبودية إلى مرحلة الحرية والسيادة، ولكنه لم يسلك سبيل التصعلك، ولكن صراعه بدأ من القبيلة وظل مرتبطاً بها ليجبرها في نهاية المطاف على منحه حقه الشرعي، متوسلاً في ذلك بمجموعة من الوسائل التي أشرنا إلى أهمها في بداية هذا الجزء من الدراسة.

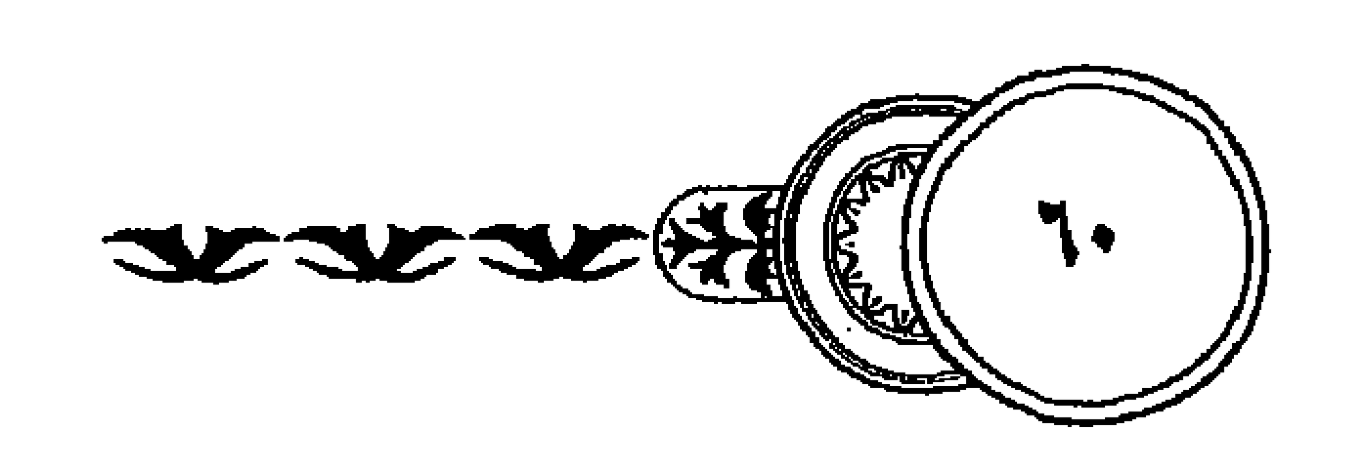
يعد عنترة – حسب ما وصل إلينا من أخباره – فارساً جاهلياً مقداماً حتى إنه لُقِّب بـ(أبي الفوارس)، وهو – فضلاً عن ذلك – شاعر أصيل، ذو بشرة سوداء ألَّبت عليه حياته ونكدتها، لتجعلها حياة قلقة مضطربة، مما اضطره لأن يناضل ويجابه الأهوال والصعاب لبلوغ هدفه، وكان عليه – في ضوء ذلك – أن يبحث عن الوسيلة التي تمكنه من بلوغ هدفه المنشود المتمثل في نيل حقه المسلوب.

تميز عنترة بأخلاق سامية أهلته لأن يمثل بذلك نموذج الفارس العربي الأصيل، ويتجلى ذلك كله في مواقفه المتعددة والمختلفة، فهو على خلق كريم زمن الحرب والسلم معاً، فإذا شرب الخمر- مثلاً- وتلك عادة جاهلية- يشربها بعد أن يدفع ثمنها، ويختار الوقت المناسب حتى لا يسيء إلى غيره عندما تلعب هذه الخمر بعقله، وحين تنتهي الحرب التي يخوض غمارها مع أبناء قبيلته، تعف نفسه عن أخذ الغنائم، وأمثلة ذلك كثيرة في شعر عنترة وفي مواقفه، مما جعله يحظى بمكانة اجتماعية جديرة بفروسيته وبنبل أخلاقه.

فإذا كان المجتمع القبلي الجاهلي قد ساد بعض أفراده شيء من التهور والانصياع لشهوات النفس ومغريات الحياة الدنيا، فإن عنترة هنا، يصور موقفاً اجتماعياً نابعاً من جوهر التعاليم الإسلامية السمحة، على الرغم من عدم إدراكه الإسلام، وفي ذلك دلالة على ما لهذا الرجل من خلال لا تتوافر إلا في عظماء الرجال من ذوي النفوس الكبيرة.

وهكذا فإن قصة عنترة التي مثلت صراعاً طبقياً قاسياً، لم تنته إلا بتحرره من جور العبودية وقسوتها، وبتحرير إخوته واعتراف قومه بشجاعته وإقدامه وصرامة سيفه، وسمو أخلاقه.

والحديث عن الشعر الجاهلي أكد أن الفن متأصل في وجدان العرب وقد سبق ظهور الإسلام ، وكان الإسلام صريحا قاطعا حين تعامل مع عادات العرب غير المتوافقة مع روح شريعته - كشرب الخمر وأصحاب الرايات الحمر ولعب الميسر ووأد البنات، فلماذا يفترض البعض أن الإسلام قد جامل الشعر بتحريمه بصورة غير قاطعة، والآية في سورة الشعراء تقول :

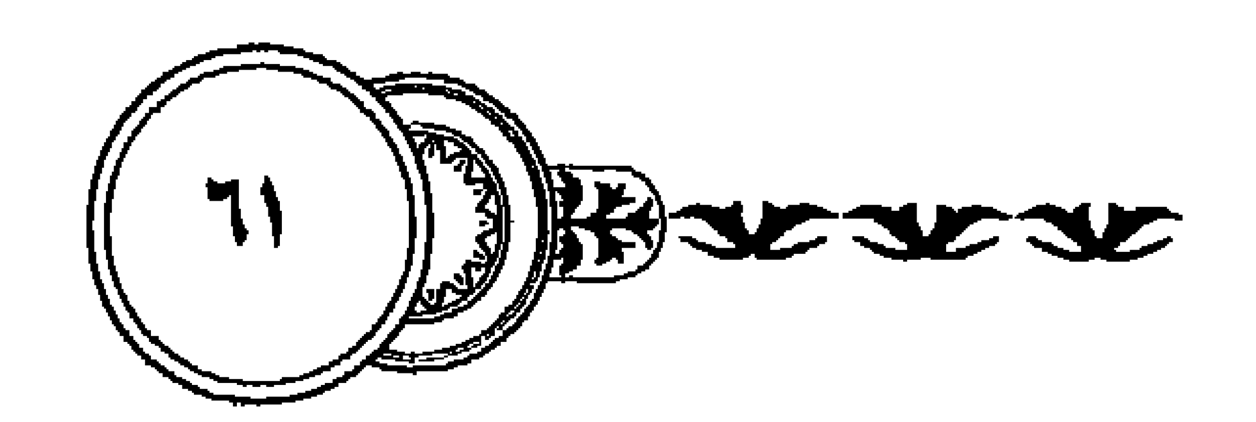


﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾[١]

وهذا ليس تحريما، فلقد جاء التحريم في القرآن بصورة ((حُرِّم عليكم، فاجتنبوه، ولا تقربوا....)) إلى آخره من نواهٍ صريحة لا لبس فيها، كما أن الوصف الذي وصف به الشعراء في الآية الكريمة يصح أن ينطبق على شعراء الجاهلية، ومنهم الصعاليك، والمقصود بما ورد بعد(إلاَّ) في الآية: ((إلا الذين آمنوا)) يصح أن يكون المقصود هو الدخول في الإسلام، والآية لم تطلب منهم بعد ذلك التوقف عن نظم الشعر كما طلبت آيات أخرى - مثلا - التوقف عن شرب الخمر، وقد قال الرسول الكريم ﷺ في الحديث الشريف: "إن من الشعر حكمة "[٢]، والله أعلم.

(١) الآيات ٢٢٤:٢٢٧ من سورة الشعراء.

(٢) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه وأبو داود، واللفظ للبخاري.



الشعر في صدر الإسلام

لقد جاء الإسلام ليضع حدا للعصر الجاهلي بتفكيره الوثني وبأعرافه وتقاليده التي لا تنسجم مع مبادىء الدين الجديد، مثل القضاء على العصبية القبلية وجعل المسلمين إخوة، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى، كما حاول القضاء على الفروق الاجتماعية بالزكاة، كما اتجه المسلمون اتجاها عقليا جديدا، فابتعدوا عن الخرافات، ثم أخذوا بالتفكير في معالجة أمورهم.

وقد تميز شعراء هذه الفترة بالقوة والحرارة في مشاعرهم الدينية، والصدق والصراحة في التعبير والوضوح والسهولة، كما تأثرت معاني الشعر وصياغته بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة.

ويسمى الشعراء الذين نشأوا في الجاهلية وعاصروا بداية ظهور النبي ﷺ وانتشار الدعوة الإسلامية بـ (المخضرمين)، وهي جمع من مخضرم، ويمتاز شعرهم بتلك النفحة الدينية، وتلمس بها ارتياحا شديدا إلى نعيم الآخرة، حيث استخدم الشاعر ألفاظا لم تكن مألوفة من قبل على حقيقتها ومعانيها الأصلية كما اكتسب الشعر نوعا جديدا وهو الهجاء السياسي.

ومن أشهر الشعراء المخضرمين أبو طالب، شيخ البطحاء وسيد الحجاز بعد أبيه، وعم النبي ، وقد توفي قبل الهجرة بثلاث سنين، أي في آخر السنة العاشرة من مبعث الرسول ﷺ، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، وقد لقب بشيخ البطحاء، والبطحاء أرض مكة، إذن كان هو سيد مكة، وزعيم القوم بعد أبيه عبد المطلب، حيث استلم مسؤولية الكعبة وخدمة الحجاج وحماية مكة والحرم.

ولقد دعم أبو طالب النبي ﷺ في دعوته ووفر له الحماية ورفض تسليمه أو مبادلته مع قريش ، وتوفي في النصف من شهر شوال في السنة العاشرة من مبعث الرسول ﷺ في عام الحزن أي قبل الهجرة بثلاث سنين سنة ٦١٩ ميلادية.

ويعتبر كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول الشعر المخضرمين، وكانت له المكانة العالية والحظ المرموق في الشعر والشهرة، ولما ظهر الإسلام تأخر كعب عن الدخول فيه، وعندما انتشر الإسلام وتعاظمت دعوته دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإسلام فلم يجبه بالرغم من أن بجير بن زهير أخا كعب استجاب لنداء الإسلام، ونتيجة لذلك غضب كعب على أخيه وهجاه، وهجا الإسلام والرسول ﷺ، فأهدر النبي دمه، فراح يستجير بالقبائل، وما من مجير، ولما ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وبعد أن استيأس من المجير والنصير جاء وتوسل إلى رسول الله ﷺ وآمن بالدين الجديد وأنشد قصيدته (بانت سعاد) المعروفة بالبردة، التي تتكون من ٥٨ بيتا، حيث تناولها العلماء والشعراء فشرحوها، منهم ابن دريد والتبريزي وابن هشام والباجوري ، وقد طبعت أكثر من مرة في برلين وباريس والقسطنطينية، وكذلك في بيروت، وترجمت كثيراً إلى لغات أخرى عديدة، ولقد عفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه بردته، وقد توفي كعب بن زهير سنة ٢٦هـ.

ولا يمكن الحديث عن شعر المخضرمين، أو الحديث عن الشعر العربي عامة دون ذكر الخنساء، وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الملقبة بالخنساء، وولدت سنة ٥٧٥م، وقتل أخواها معاوية وصخر في الجاهلية فحزنت عليهما حزنا شديدا، واسترسلت في رثائهما والبكاء عليهما، وقد خصت أخاها صخراً بدموعها السخية لما تحلى به من الشجاعة والكرم والوفاء وبذل المال.

عاشت الخنساء ولها من العمر ٨٩ سنة، واعتنقت الإسلام، حيث وفدت على رسول الله ﷺ وأنشدته من شعرها، وأسلمت بين يديه هي وقومها مع بنيها وقدمت أولادها الأربعة في سبيل الإسلام، وحرضتهم على الثبات في القتال حتى قتلوا، وعندما وصلها خبر مقتلهم هتفت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة.

ويذكر أنها سئلت عن عدم رثاء أولادها الأربعة على الرغم من رثائها المستمر لإخوانها فقالت : أولادي أحسبهم عند الله، أما إخوتي فسيذهبون إلى النار ويذكرأنه قيل لجرير: من أشعر الناس؟ فقال : أنا لولا الخنساء. وتوفيت الخنساء سنة ٢٤هـ.

أما أهم الشعراء المخضرمين فهو أبو الوليد حسان بن ثابت من قبيلة الخزرج التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز وأقامت في المدينة مع الأوس، وولد حسان بن ثابت في المدينة قبل مولد النبي ﷺ بنحو ثماني سنين، وعاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين أخرى، وكان قد شب في بيت وجاهة وشرف منصرفا إلى اللهو والغزل، فأبوه ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، من سادة قومه وأشرافهم، وحسان بن ثابت ليس خزرجيا فحسب بل هو أيضا من بني النجار أخوال رسول الله ﷺ، فله به صلة وقرابة.

وكانت المدينة في الجاهلية ميدانا للنزاع بين الأوس والخزرج، تكثر فيها الخصومات والحروب، وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس، وحسان بن ثابت شاعر الخزرج الذي كان لسان قومه في تلك الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية، فطارت له في البلاد العربية شهرة واسعة.

وقد اتصل حسان بن ثابت بالغساسنة، يمدحهم بشعره، ويتقاسم هو والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل أعطيات بني غسان، ولقد طابت له الحياة في ظل تلك النعمة الوارفة ظلالها، ثم اتصل ببلاط الجيرة وعليها النعمان بن المنذر، فحل محل النابغة، حين كان هذا الأخير في خلاف مع النعمان، إلى أن عاد النابغة إلى ظل أبي قابوس النعمان، فتركه حسان مكرها، وقد أفاد من احتكاكه بالملوك معرفة بالشعر المدحي وأساليبه، ومعرفة بالشعر الهجائي ومذاهبه، ولقد كان أداؤه الفني في شعره يتميز بالتضخيم والتعظيم، واشتمل على ألفاظ جزلة قوية.

وهكذا كان في تمام الأهبة للانتقال إلى ظل محمد ﷺ نبي الإسلام، والمناضلة دونه بسلاحي مدحه وهجائه.

حياة حسان بن ثابت في الإسلام

لما بلغ حسان بن ثابت الستين من عمره وسمع بالإسلام دخل فيه ، وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانية، ويدافع عن محمد والإسلام، ويهجو خصومهما، وقال ﷺ يوما للأنصار : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت : أنا لها. وأخذ بطرف لسانه فقال: والله ما يسرُّني بهم مقولا بين بصرى وصنعاء. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف تهجوهم وأنا منهم فقال إني أسلُّك منهم كما تسل الشعرة من العجين.(١)

ولم يكن حسان بن ثابت وحده هو الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء، بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صح إسلامهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يثني على شعر حسان، وكان يحثه على ذلك ويدعو له بمثل : اللهم أيده بروح القدس.

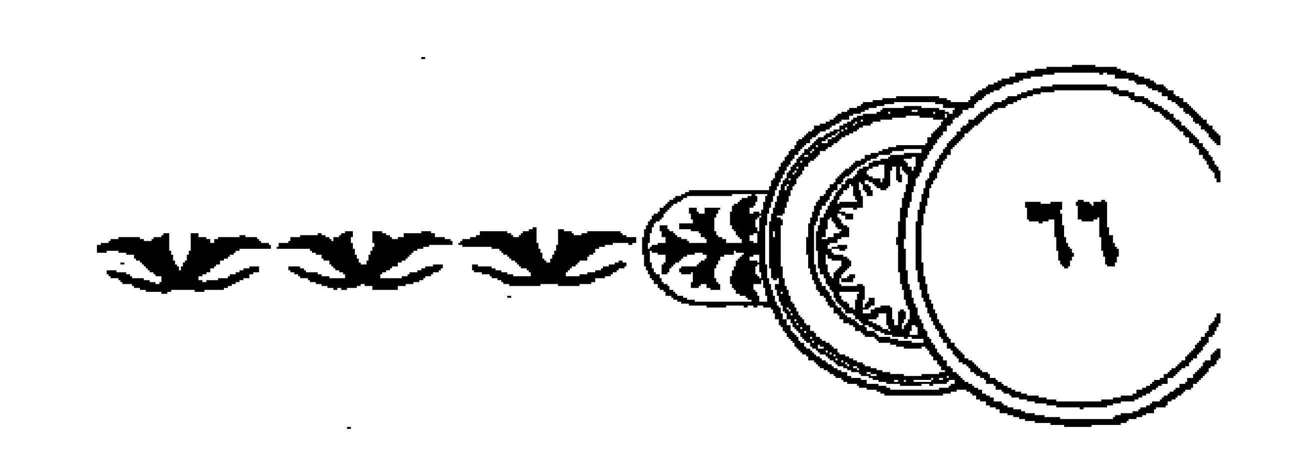
كما عطف عليه صلى الله عليه وسلم، وقربه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا، إلا أن حسان بن ثابت لم يكن يهجو قريشا بالكفر وعبادة الأوثان، إنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب والأنساب، ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغا.

و كان حسان بن ثابت لا يقوى قلبه على الحرب، فاكتفى بالشعر، ولم ينصر محمدا بسيفه، ولم يشهد معركة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غزوة.

ومما لا شك فيه أن حسان بن ثابت كان يحظى بمنزلة رفيعة، فكان الخلفاء الراشدون يجلونه ويفرضون له العطاء في الوقت نفسه، وإن كنا لا نجد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه موقفا خاصا من الشعر، ويبدو أن انشغاله بالفتوحات

---

(١) تفسير السيوطي، جـ١ صـ ٨٣٣



وحركة الردة لم تدع له وقتا يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع إليهم، في حين نجد أن عمر رضي الله عنه كان يحب الشعر، خاصة ما لم يكن فيه تكرار للفظ والمعنى.

ومن خلال شعر حسان بن ثابت نجد أن الشعر الإسلامي اكتسب رقة في التعبير بعد أن عمر الإيمان قلوب الشعراء، وهي شديدة التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع وجود الألفاظ البدوية الصحراوية. ومهما استقلت أبيات حسان بن ثابت بأفكار وموضوعات خاصة فإن كلا منها يعبر عن موضوع واحد هو موضوع الدعوة التي أحدثت أكبر تغيير فكري في حياة الناس وأسلوب معاشهم.

لقد نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي، والرد على أنصار الجاهلية، وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية، فكان الشعر شعر نضال يهجى فيه الأعداء، ويمدح فيه رجال الفريق، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء، بل للدفاع عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

أما المدح الذي نجده في شعر حسان لهذا العهد فهو مقصور على النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه وكبار الصحابة، والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسنا، وهو يختلف عن المدح التكسبي، والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وما إلى ذلك مما ينبثق من العاطفة الحقة والعقيدة النفسية، قال حسان :

نبي أتانا بعد يأس وفترة من	الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا	يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارا وبشر جنة	وعلمنا الإسلام، فالله نحمد
وأنت إله الخلق ربي وخالقي	بذلك ما عمرت في الناس أشهد

ويلحق بهذا المدح رثاء محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ضمنه الشاعر لوعة وذرف دموعا حارة، وتذكرا لأفضال رسول الدين الجديد، وحنينا إليه في النعيم :

مع المصطفى أرجو بذاك جواره   وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

أما الهجاء النضالي، فقد وجهه إلى القرشيين الذين قاموا في وجه الدين الجديد يحاربونه ويهجون محمدا صلى الله عليه وسلم، وكان موقف الشاعر تجاههم حربا لما بينهم وبين محمد من نسب، أما أسلوبه في هجائه فقد كان يعمد إلى الواحد منهم فيفصله عن الدوحة القرشية، ويجعله فيهم طائرا غريبا يلجأ إليها كعبد، ثم يسدد سهامه في أخلاق الرجل فيمزقها تمزيقا، فيخرج ذلك الرجل موطنا للجهل والبخل والجبن، والفرار عن إنقاذ الأحبة من الموت في المعارك.

الشعر في العصر الأموي

اتسمت حياة العرب في الجاهلية بالعصبية القبلية، فلما بزغ نور الإسلام ذابت بعض هذه العصبيات وحل محلها الانتماء إلى الجماعة الإسلامية من ناحية ومن ناحية أخرى شغلت الفتوحات الإسلامية قسما من الشعراء اللامعين، حيث أرسيت أسس الدولة الإسلامية الجديدة حاملة مبادىء الدين الجديد.

وفي الوقت نفسه نُلاحظ القسم الآخر من الشعراء المخضرمين ظلوا طيلة بداية عهد الإسلام حتى زمن معاوية ومروان بن الحكم، متمسكين بعصبياتهم الجاهلية وإصرارهم على خذلان الدين الجديد، بالرغم من إسلامهم العلني وعدم إيمانهم به اضطرارا أو تكسبا.

لذلك ظهرت هذه العصبية الجاهلية المكبوتة على يد جماعة من الشعراء، عاشت في ظل الحكم القبلي العشائري، وبالأخص زمن دولة آل مروان من بني أمية ، فلقد قسمت الأمة إلى سنة وشيعة وخوارج ومرجئة، وهذه الفرقة الأخيرة كانت من الأمويين أنفسهم وقالوا: إننا نطيع الخليفة ولو كان فاسقا ونرجئ أمره إلى الله، فالله هو الذي يتولى أمره.

من ناحية أخرى فلقد بنى الأمويون المدن أمثال مدينة واسط بين الكوفة والبصرة ومدينة اللد في فلسطين، كذلك بنيت القصور الخاصة في بادية الشام وقصور للاستجمام والاصطياف، كل هذا نتيجة تدفق الأموال من أنحاء البلاد المفتوحة إلى الشام، فكثر الترف وخصوصا بين أمراء البيت المالك (الأموي)، وقامت مجالس اللهو والغناء إضافة إلى كثرة الشراب والفساد

من أشهر الشعراء في العصر الأموي :

قيس بن الملوح	عبيد الله بن قيس الرقيات	
أبو صخر الهذلي	ليلى الأخيلية	جميل بثينة
أعشى همدان	أعشى بني ربيعة	عمران بن حطان

عمر بن أبي ربيعة	**الأخطل**
الأحوص	**كثير عزة**
الفرزدق وجرير	

أنواع الأدب في هذا العصر الأموي :

يمكننا أن نقسم الأدب في هذا العصر إلى قسمين :

القسم الأول : الغزل بنوعيه، الغزل الماجن والغزل العفيف.

القسم الثاني : الأدب والشعر السياسي الديني، الذي يحتوي على :

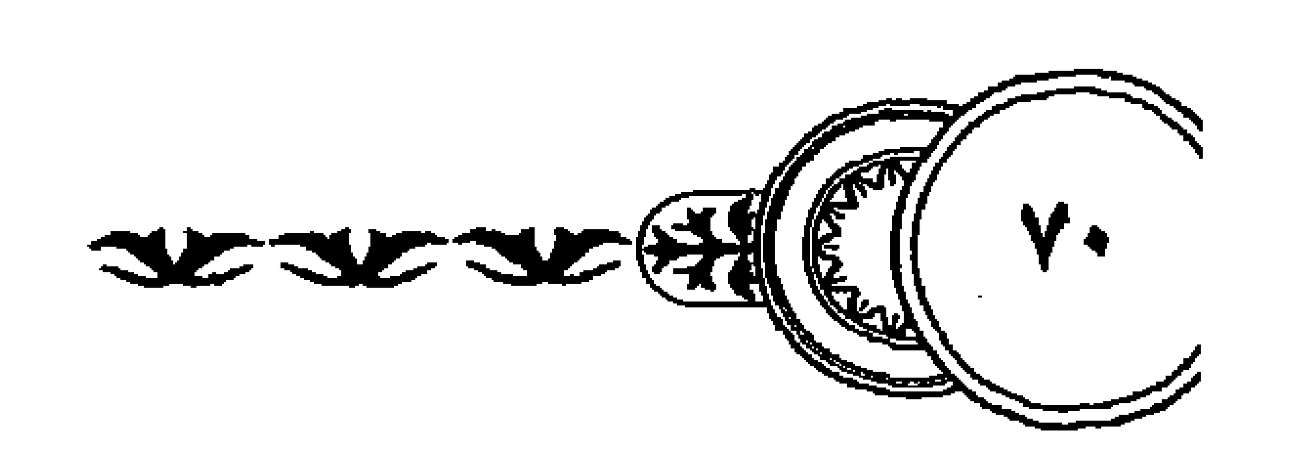
١- شعر الشيعة : ويتمثل في شعر الشاعر الكميت الأسدي.

٢- شعر الخوارج : ويمثل هذا التيار عمران بن حطان الذي مدح ابن ملجم على ضربته لإمام المتقين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في محراب الكوفة.

٣- المرجئة : وهو الشعر الذي أنتجه شعراء المرجئة وهم الذين قالوا إننا نطيع الخليفة ولو كان فاسقا ونرجئ أمره إلى الله فالله هو الذي يتولى حسابه.

القسم الأول : الغزل

لقد انحدر الغزل الأمُوي من الغزل الجاهلي، والفارق هو أن الغزل في القصيدة الجاهلية كان غرضا من أغراض القصيدة يأتي في أبيات، ثم ينتقل إلى غرض آخر في القصيدة نفسها، أما في العصر الأموي فقد أصبح الغزل يُمثل في قصيدة كاملة، فلا يذكر الشاعر في قصيدته غير الغزل. ويمكن تقسيم الغزل إلى نوعين:



١- الغزل الماجن :

وهو غزل إباحي ، وكثر مثل هذا الغزل في الحضر حيث المدنية والحضارة والثروة حيث اجتمع الفراغ مع وفرة الثروة فأنتجا اللهو والإسراف ، وساعد على ذلك كثرة الرقيق وانتشار ضروب الملاهي والغناء والموسيقى.

ومن أشهر شعراء الغزل الماجن، عمر بن أبي ربيعة والأحوص والوليد بن يزيد.

٢- الغزل العفيف :

كثر مثل هذا الشعر في البدو حيث الخيمة والفقر، فقد اجتمع الفقر والحرمان، وعفة النفس واللسان ، ويلقبون شعراء هذا النوع من الغزل بشعراء العشاق حيث كانوا يعيشون في نجد وما جاور الحجاز، لذا سميت نجد بأرض العشاق، ويمتاز شعرهم بالعفة والعذوبة، وأنه سهل محبب إلى النفس الإنسانية.

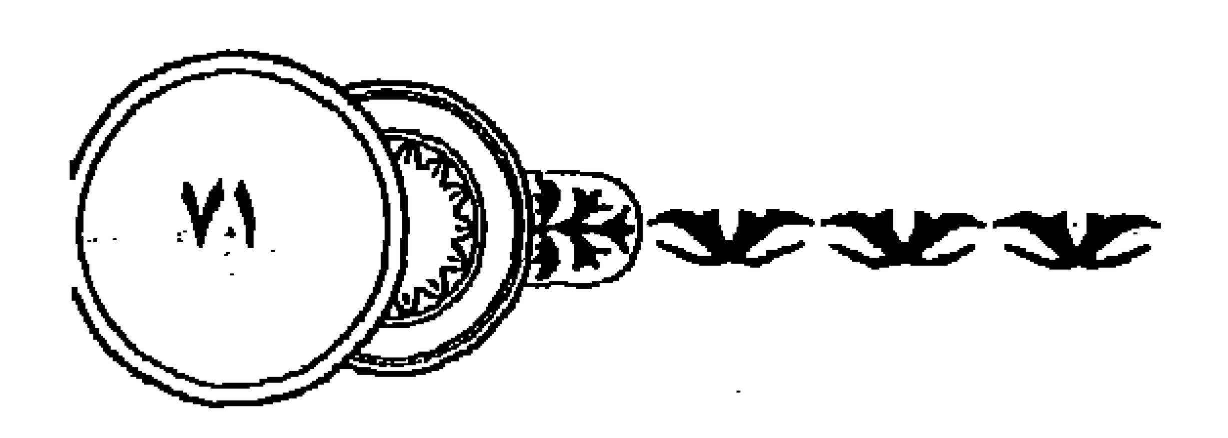
ومن أشهر شعراء العشاق قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، جميل بثينة، كثير عزة.

ويوجد غيرهم كثيرون لكننا نكتفي بذكر ثلاثة منهم :

كثير عزة

اسمه كثير بفتح الكاف وكسر الثاء ولفرط قصره سمي بكُثَيِّر ، ولد في عام ٣٢ هـ بالحجاز، وكان يرعى الأغنام، ويروى أنه اعتنق مذهب الكيسانية، وقد اختلف في تاريخ وفاته، والأرجح أنه توفي سنة ١٠٥هـ .

إن المتتبع لأسلوب كثير وألفاظه يجدها تتباين بين الوضوح والغرابة والسهولة والتعقيد. يحتوي ديوانه على أكثر الأغراض الشعرية ولكن أبرزها شعره الغزلي العذري الذي ينبع من الطبيعة البدوية الصافية وبعدها عن ترف المدن.



خليلي هذا ربع عزة فاعقلا … قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا … ولا موجعات القلب حتى تولت
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها … كناذرة نذرًا فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة … إذا وطنت يومًا لها النفس ذلت
فلا يحسب الواشون أن صبابتي … بعزة كانت غمرة فتجلت
فوالله ثم الله لا حل بعدها … ولا قبلها من خلة حيث حلت
تمنيتها حتى إذا ما رأيتها … رأيت المنايا شرعا قد أظلت

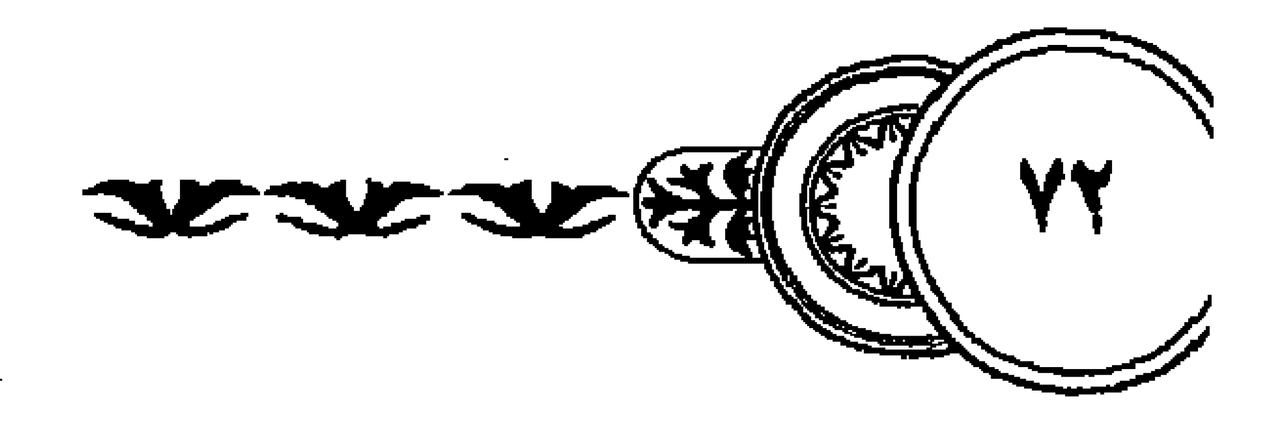
قيس بن الملوح

وللحديث عن شعر قيس لابد من ذكر أن الأدب الفارسي والهندي والأردو والآداب الأخرى قد جعلت من مجنون ليلى أسطورة ورمزًا للحب الصوفي، وقد كان في الواقع حبًا بشريًا حقيقيًا ، وقد تركت قصة مجنون ليلى أثرا عظيما في الأدبين الفارسي والتركي ، روي أنه كان إذا اشتد شوقه إلى ليلى يمر على آثار المنازل التي كانت تسكنها فتارة يقبلها وتارة يبكي وينشد هذين البيتين :

أمر على الديار، ديار ليلى … أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي … ولكن حب من سكن الديارا

وهو القائل أيضًا في حب ليلى:

وقد لامني في حب ليلى أقارب … أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا
أرى أهل ليلى لا يريدون بيعها … بشيء ولا أهلي يريدونها ليا
ألا يا حمامات العراق أعنني … على شجني وابكين مثل بكائيا
يقولون ليلى بالعراق مريضة … فيا ليتني كنت الطبيب المداويا
فيا عجبا ممن يلوم على الهوى … فتى دنفا أمسى من الصبر عاريا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها … علي فلن تحموا علي القوافيا



وقال أيضا :

ألا قاتل الله الهوى ما أشده ... وأسرعه للمرء وهو جليد

دعاني الهوى من نحوها فأجبته ... فأصبح بي يستن حيث يريد

جميل بثينة

جميل بن عبد الله بن معمر العذري. ولد بالحجاز سنة ٤٠هـ (٦٦٠ ميلادي) كان يميل إلى حب ابنة عمه واسمها بثينة، لذا عرف بجميل بثينة، فقال فيها الشعر، حيث إن شعره فصيح ورقيق سهل التراكيب وواضح المعاني، ذكره حسان بن ثابت وقال: (جميل أشعر أهل الجاهلية والإسلام، والله ما لأحدٍ منهم مثل هجائه ونسيبه) ، وجميع شعره في الغزل إلا مقاطع شعرية قليلة قالها في هجاء زوج بثينة وقومها.

قال في بثينة :

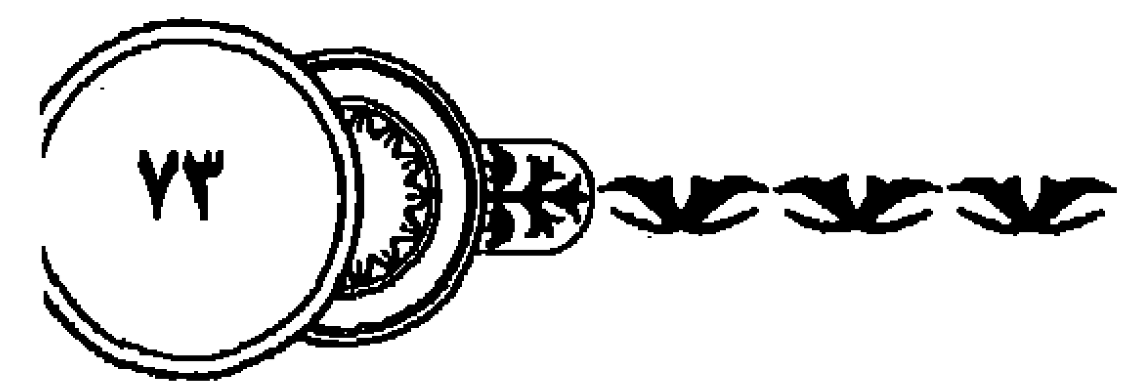
فلو أرسلت يوما بثينة تبتغي ... يميني وإن عزت علي يميني

لأعطيتها ما جاء يبغي رسولها ... وقلت لها بعد اليمين سليني

وخلاصة القول : إن شعر الغزل كان على أوصاف جمة، فمنه الهجران والفراق وألم الرحيل والمشيب، فمن الغزل ما هو تقليدي بدوي يترسم به الأقدمون من وقوف على الأطلال وذكر أماكن البدو، ومنه الجديد المترف حيث تحس فيه عاطفية الشاعر المتوافرة، حيث يصف عواطف نفسه وأهواءها وشجونها، ويصف اللقاء والوداع، إضافة إلى وصفه مجالس اللهو والأنس والخمر والحبيب.

القسم الثاني : الشعر السياسي

لقد كثرت الخلافات والنزاعات السياسية بين العرب أنفسهم وبين العرب والموالي، كما كثر الاضطهاد السياسي لخصوم الدولة الأموية، لذلك برزت ظاهرة الشعر السياسي ، وهكذا أصبح الشعر لسانا يعبر عن رؤية الشاعر السياسية وآرائه بشأن كواليس الحكم ومطبخ الأحداث.



ومن أشهر الشعراء الذين برزوا في هذا الاتجاه:

الكميت بن زيد

ولد الكميت بن زيد الأسدي نحو سنة ٦٠هـ في الكوفة، حيث كان شاعرا وخطيبا وحافظا للقرآن وفقيها وفارسا، ويعتبر شعره ثروة كبيرة، والذي بلغ ٥٢٨٩ بيتا إذ قال عنه أبو عكرمة الضبي : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان، وأشهر قصائده الهاشميات التي بلغت ٥٦٣ بيتا ، قالها في بني هاشم لإثبات حقهم السياسي والديني، فكان يحتج لهم ويدافع عنهم بقوة طوال حياته حتى قضى نحبه شهيداً لهذا العشق ، لقد احتوت قصائده على الفخر والمدح والهجاء والرثاء والحماسة، واشتهر بقصيدته البائية ومن ألمعها :

طربت وما شوقا إلي البيض أطرب ... ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

بني هاشم رهط النبي فإنني ... بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

ينتقل شاعرنا ويخاطب الأمويين بقوله: كيف أن دماء المسلمين حلال سفكها عندهم إضافة إلى حرمانهم من الغنائم كما أن الحقوق أيضا مغتصبة لديهم، وقد جاء في قصيدته :

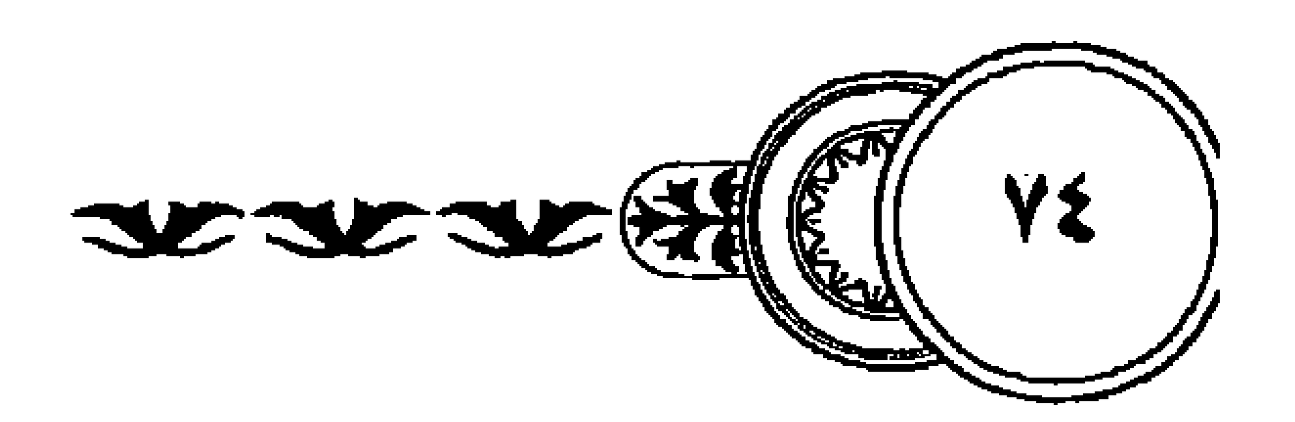
تحل دماء المسلمين لديهم ... ويحرم طلع النخلة المتهدل

وليس لنا في الفيء حظ لديهم ... وليس لنا في رحلة الناس أرحل

فيا رب هل إلا بك النصر يرتجى ... عليهم وهل إلا عليك المعول

الفرزدق

هو همام بن غالب بن صعصعة، الملقب بالفرزدق لأثر الجدري على وجهه ولد في سنة ٢٠هـ بالبصرة، من أسرة ذات جاه وكرم، كان يتردد على البلاط الأموي.



وكان الفرزدق شاعراً غير ملتزم لكن في أواخر عمره وحياته قرر مصيره مع أهل البيت رضي الله عنهم ، ولقد اشتهر الفرزدق في قصيدته الميمية في حق الإمام علي بن الحسين رضي الله عنه، حيث وقف في تلك اللحظة وقال الحق مما يذكّرنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: (أفضل كلمة ، كلمة حق عند سلطان جائر)، حيث يروى أن هشام بن عبد الملك لم يتمكن أن يصل إلى الحجر الأسود في موسم الحج من شدة الزحام، وبما أن لباس الحجاج واحد ودون تمييز بين الأمير والفقير، وفي هذه اللحظة وصل شاب نوراني انشقت له الصفوف ووصل إلى الحجر، فقال رجل لهشام : من هذا الذي فتح له الطريق بهذه الهيبة والإجلال؟ فأجاب هشام : لا أعرفه وكان به عارفًا فقال الفرزدق: أنا أعرفه، وأنشد قصيدته المعروفة، فغضب هشام وسجنه، وقد بدأت قصيدته في مدح زين العابدين رضي الله عنه، بقوله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن فاطمة ان كنت كاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

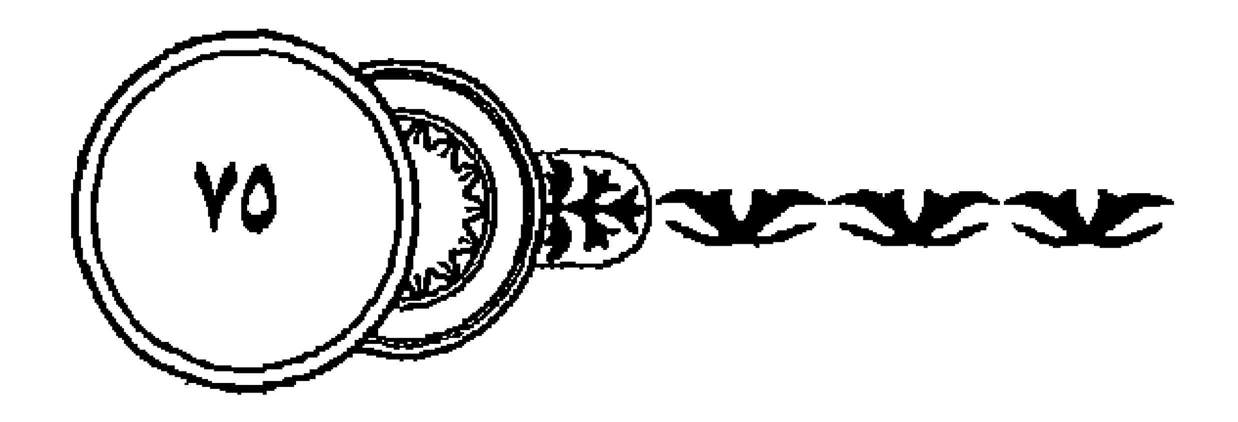
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

وليس قولك : من هذا ؟ بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

عمران بن حطان

كان عمران سني المذهب، وقد تزوج امرأة من الخوارج ينوي أن يعيدها إلى مذهب أهل السنة لكنها أثرت فيه واتبع مذهبها (مذهب الخوارج) وكان خطيبًا وشاعراً، وقد مدح عبد الرحمن بن ملجم عندما قام الأخير بضرب أمير المؤمنين رضي الله عنه في محرابه بالكوفة حيث قال :



يا ضربة من كريم ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي :

إني لأبرأ مما أنت قائله ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا

يا ضربة من شقي ما أراد بها ... إلا ليهدم للإسلام أركانا

إني لأذكره يوما فألعنه ... دنيا والعن عمرانًا وحطانا

عليه ثم عليه - الدهر متصلا - ... لعائن الله إسرارًا وإعلانا

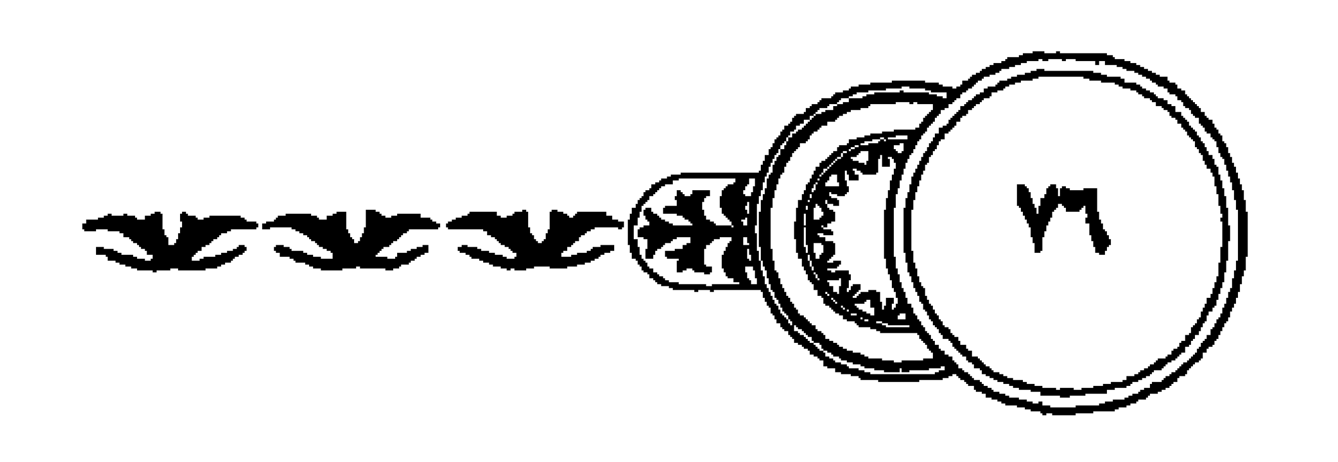
الأخطل

هو أبو مالك غياث بن غوث الملقب بالأخطل، ولد في الحيرة نحو سنة ٢٠هـ، نصراني الأصل، وأصبح أحد الأصوات المدافعة عن حكم بني أمية، حيث توثقت علاقته بهم بقوله :

وأنتم أهل بيت لا يوازنهم ... بيت إذا عدت الأحساب والعدد

قوم إذا أنعموا كانت فواضلهم ... سيبا من الله لا مَنٌّ ولا حسد

إن أكثر الشعراء الذين مثلوا الحزب الأموي كانوا نفعيين، مدحوا الحكام الظالمين طمعًا في المال أو خوفا من العقاب ، لذلك نجد الأخطل مدح ملوك الأمويين ووصف الخمر مشيراً إلى ماضيهم وحقهم في الخلافة وتقرب إليهم بهجائه الأنصار خاصة ، لأنهم كانوا خصوم بني أمية



الشعر في العصر العباسي

سقط الأمويون في الشام سنة ١٣٢هـ، وانتقلت الخلافة إلى بني العباس الذين أقاموا خلافتهم وتجلت أيامهم في مدينة بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور وجعلها عاصمة للخلافة ، ويعتبر أبو العباس السفاح مؤسس الدولة العباسية، ولقد كانت البيئة الاقتصادية في تلك الفترة جيدة مما أفسح مجالا واسعًا للترف، الذي أدى إلى انحطاط في الأخلاق وتعاطي الناس والأمراء المسكرات سرًا وعلنا ، كما لا يفوتنا أن الأمراء العباسيين شجعوا تعدد المذاهب الإسلامية، وقد انتشرت فلسفة التصوف وعقيدة التناسخ في هذا العصر، فكانت بغداد والبصرة والكوفة وحلب أهم مراكز الأدب العباسي بالإضافة إلى المدينة والفسطاط بمصر.

وتحدثنا كتب التاريخ بأنه نتيجة لهذا الانحطاط وكثرة أعداد الجواري والغلمان، والاسترسال في الخلاعة والمجون والتأنق في الطعام والملبس، ظهر أثر ذلك على الشعر وأدى إلى ظهور أبواب جديدة فيه، مثل الشعر الفلسفي والتعليمي وقصص الحكايات إضافة إلي الشعر الهزلي، وقد كثر شعر الزهد والخمر والوصف الذي مال إلى وصف الصيد وأنواع الأطعمة والبساتين والقصور وكذلك قوي شعر المدح والرثاء، فقد أصبح الشاعر في هذا العصر ذا شأن كبير.

كما أن الخطابة قد ضعفت إضافة إلى الشعر السياسي، وكذلك الغزل العذري أيضا، وذلك لتفشي الفساد، ولحق هذا الضعف والهبوط بشعر الفخر والحماسة ، كما نلاحظ أن الهجاء عاد ليكون أداة للتكسب.

ومن ناحية أخرى نرى أن فنون الكتابة قد تعددت فكان منها الرسائل الإخوانية في الشكر والعتاب والتعازي والتهاني والاعتذار والاستعطاف إضافة

إلى المقالات والمناظرات لابن العميد والقاضي الفاضل وفيها السجع والمحسنات البديعية، ومنها العهود والروايات القصصية والمقامات.

أهم الشعراء والكتاب والفلاسفة وأصحاب المقامات:

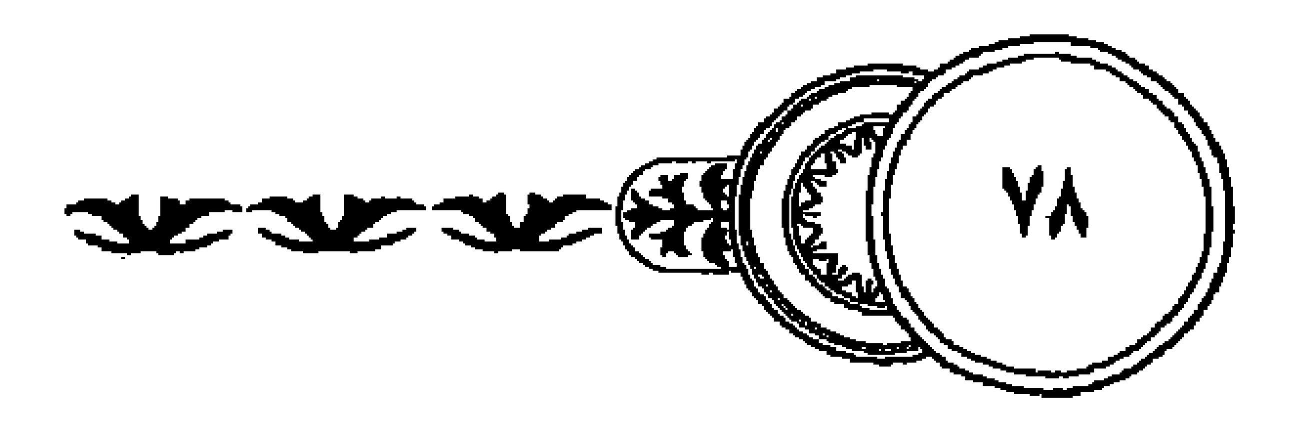
تم تدوين التاريخ في هذا الغصر فعني أصحابه بالأحداث والسير فتدفقت على العرب سيول الفلسفة اليونانية، فنبغ فيها فيها أعلام بالإضافة إلى تأليفهم في الجبر والهندسة والحساب والفلك فظهر مؤلفون في مختلف العلوم نذكر منهم :

ابن المقفع	هشام الكلبي	أبو حنيفة	
أبو حيان التوحيدي	بشار بن برد	الإمام مالك بن أنس	الخليل بن أحمد
أبو يوسف	سيبويه	أبو نواس	الإمام الشافعي
أبو العتاهية	الأصمعي	أبو تمام	الإمام أحمد بن حنبل
الكندي	الجاحظ	البخاري	الطبري
الترمذي	ابن الرومي	النسائي	أبو فراس الحمداني
الفارابي	المتنبي	الأصفهاني	البيهقي
الخوارزمي	ابن سينا	أبو العلاء المعري	
الطوسي	الزمخشري	ابن عساكر	

وسيتم تناول ترجمات لبعضهم يمكن من خلالها توضيح أبرز سمات الأدب في هذا العصر المثير للجدل في كل المناحي لا سيما الأدبية.

بشار بن برد

ولد بشار سنة ٩١هـ في البصرة من أب فارسي الأصل، ونشا أعمى حاد الذكاء، وكان يقول: الحمد لله الذي ذهب ببصري لئلا أرى ما أبغض، نظم الشعر



وهو طفل، وقال عنه الأصمعي : بشار خاتمة الشعراء، والله لو أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم .

ولقد اتصف شعره بتنوع الأغراض، لكنه برع في الغزل والهجاء والوصف والحكمة؛ إذ يقول :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

و لأن بشاراً نشأ ضريرا لذا نجده يقول بأن الجمال يعرف من طريق الأذن مثلما يعرف بالعين، فيقول :

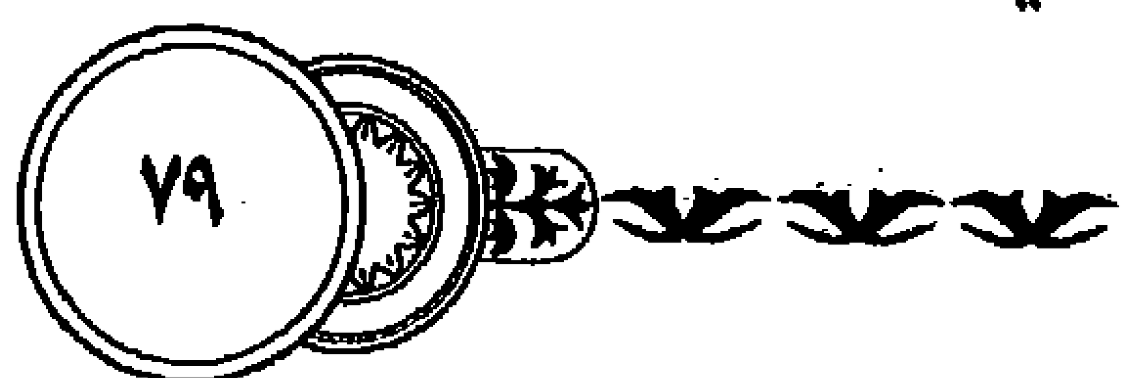
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

و أخيرا فإن بشاراً قد اتهم بالزندقة وقتل في البصرة سنة ١٦٧هـ.

أبو العتاهية

ولد إسماعيل بن القاسم الملقب بأبي العتاهية في عين التمر بالعراق سنة ١٣٠هـ، ونشأ بالكوفة، وقصد بغداد، واتصل بالخليفة المهدي ومدحه ثم اتصل بالخليفة الهادي، وأخيراً اتصل بهارون الرشيد.

امتاز شعر أبي العتاهية في الزهد والموعظة أولا، وفي الرثاء والهجاء والمدح والوصف والحكم والأمثال والغزل في المرتبة الثانية ، وكان شعره سهل الألفاظ، قليل التكلف حيث قال عن نفسه: لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت.



و قال وهو يبكي شبابه :

بكيت على الشباب بدمع عيني | فلم يغن البكاء ولا النحيب
ألا ليت الشباب يعود يوماً | فأخبره بما فعل المشيب
عريت من الشباب وكان غضاً | كما يعرى من الورق القضيب

ونراه يتغزل بعتبة وهي فتاة أحبها :

عيني على عتبة منهلة | بدمعها المنسكب السائل
كأنها من حسنها درة | أخرجها اليم إلى الساحل
كأن في فيها وفي طرفها | سواحرا أقبلن من بابل
بسطت كفي نحوكم سائلا | ماذا تردون على السائل
إن لم تنيلوه فقولوا له | قولا جميلا بدل النائل
يا من رأى قبلي قتيلا بكى | من شدة الوجد على القاتل

ومن الأمثال والحكم السائرة في شعر أبي العتاهية :

ما يحذر المرء من أطرافه طرفا | إلا تخونه النقصان من طرف
ولرب شهوة ساعة | قد أورثت حزنا طويلا
إن كان لا يغنيك ما يكفيكا | فكل ما في الأرض لا يغنيكا

وله قصيدة بعنوان: «إلهي لا تعذبني»: يقول فيها :

إلهي! لا تعذبني، فإني | مقر بالذي قد كان مني!
فما لي حيلة، إلا رجائي | لعفوك، إن عفوت، وحسن ظني
وكم من زلة لي في البرايا، | و أنت علي ذو فضل ومن
إذا فكرت في ندمي عليها، | عضضت أناملي، وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونا، | واقطع طول عمري بالتمني

وله وقفة على القبور يقول فيها :

يا معشر الأموات يا ضيفان ترب ... الأرض كيف وجدتم طعم الثرى
أهل القبور محا التراب وجوهكم ... أهل القبور تغيرت تلك الحلى

وقال في التزهيد في الدنيا :

لمن نبني ؟ ونحن إلى تراب ... نصير، كما خلقنا من تراب
الا يا موت، لم أر منك بدا ... أتيت وما تحيف وما تحابي
كأنك قد هجمت على مشيبي ... كما هجم المشيب على الشباب

و عندما رأى شاعرنا تبذير أموال الرعية من قبل حكام العصر العباسي هب قائلا :

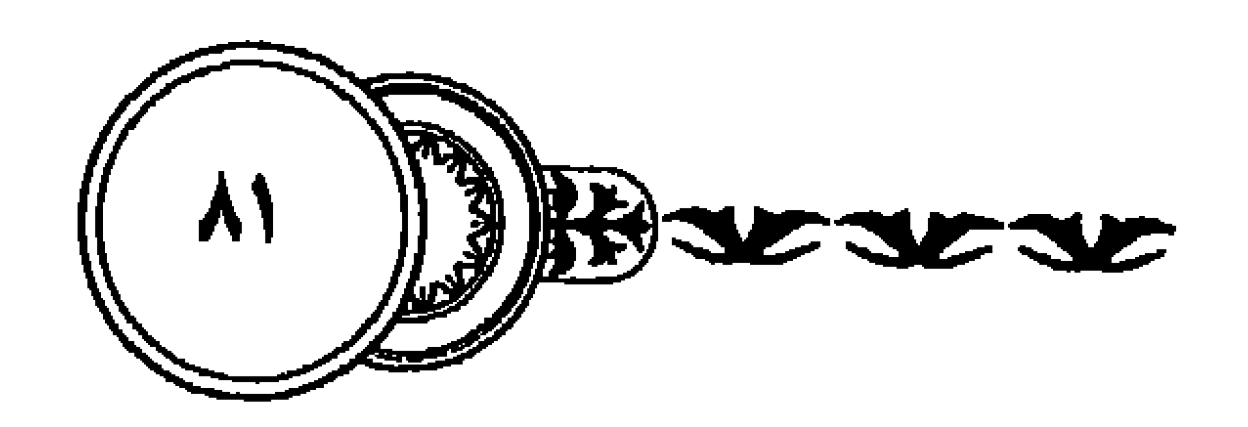
أين القرون الماضية ... تركوا المنازل خاليه
فاستبدلت بهم ديارهم ... الرياح الهاويه
وتشتتت عنها الجموع ... وفارقتها الغاشيه
فإذا محل للوحوش ... وللكلاب العاويه

وفي مكان آخر يذكر عظمة الخالق سبحانه فيقول :

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على انه الواحد

وقال فيمن غرته الدنيا وأفضت به إلى الهلاك :

مسكين من غرت الدنيا بآماله ... فكم تلاعبت الدنيا بأمثاله
استغن بالله عمن كنت تسأله ... فالله افضل مسؤول لسؤاله



أبو نواس

هو الحسن بن هانئ، ولد في الأهواز سنة ١٤٦هـ، ونشأ في البصرة، ثم توجه إلى الكوفة وبغداد واتصل بالرشيد فالأمين ومدحهما.

وله ديوان يحتوي على ثلاثة عشر ألف بيت في المديح والرثاء والوصف والعتاب والهجاء والزهد والخمريات والغزل إضافة إلى باب نقائضه مع الشعراء ومن شعره :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

ومن شعره الذي ذكر فيه الوقوف والبكاء ووصف الديار بقوله :

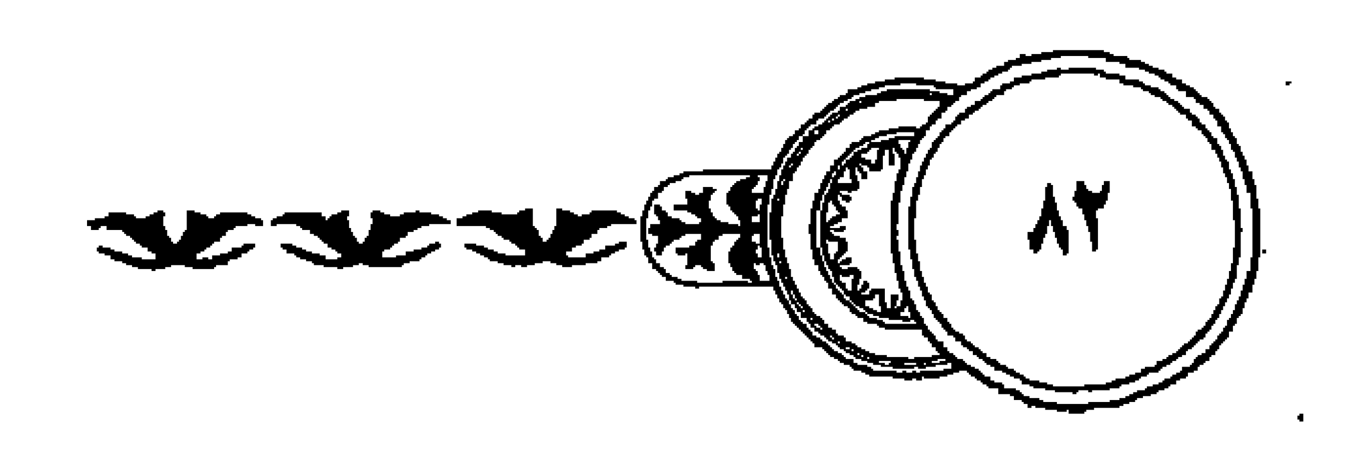
قف بربع الظاعنينا وابك إن كنت حزينا
و اسأل الدار متى فارقت الدار القاطنينا
قد سألناها وتأبى أن تجيب السائلينا

وفي موضع آخر يذكر الدار والأيام فيقول :

يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام
عرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عرام

ومما يدل على حسن عقيدته قوله :

أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك أستجير
أنا العبد المقر بكل ذنب و أنت السيد المولى الغفور
فإن عذبتني فبسوء فعلي وإن تغفر فأنت به جدير
أفر إليك منك وأين إلا إليك يفر منك المستجير



وقد روى الشافعي قائلا : دخلت على أبي نواس فقلت له : ما أعددت لآخرتك؟ فقال :

تعاظمني ذنبي فلما قرنته　　بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ومن قوله عندما حضرته الوفاة دعا بدواة وقرطاس وكتب :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة　　فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يدعوك إلا محسن　　فمن الذي يرجو ويدعو المجرم
ادعوك ربى كما أمرت تضرعا　　فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا　　وجميل عفوك ثم أني مسلم

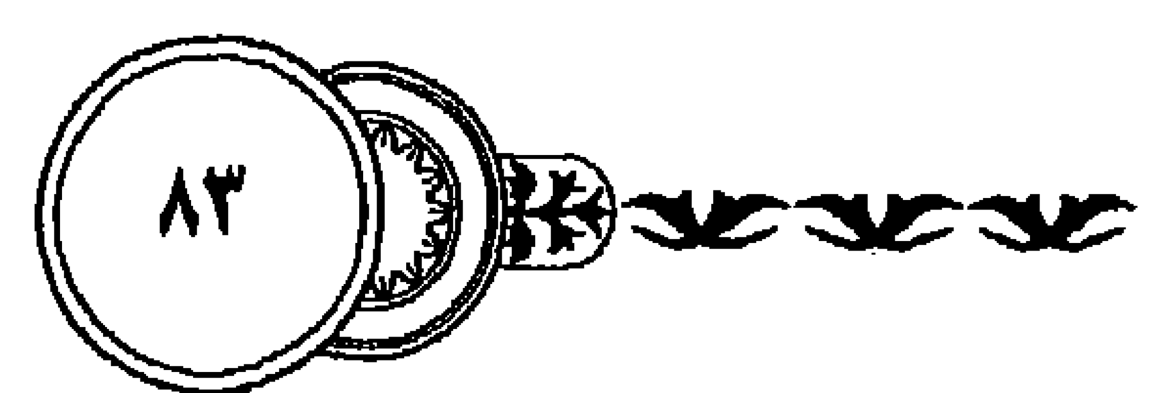
وقيل وجدت هذه الأبيات مكتوبة على قبره :

وعظتك أجداث صمت　　ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى　　وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبور　　وأنت حي لم تمت

البحتري

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله بن يحيى البحتري الطائي، ولد في منبج بسوريا سنة ٢٠٦هـ ، كان فصيحا نقي الكلام وشعره صقيل وحلو الألفاظ سلس الأسلوب وسهل التراكيب، وكان يتجنب التعقيد.

اعتبره أكثر النقاد شيخ الصناعة وأحسن الشعراء براعة في ذكر الطيف والخيال حيث كثر في ديوانه الغزل والوصف والهجاء فامتاز بحسن الصنعة، وأكثر في وصف مظاهر الطبيعة، وكذلك قال الرثاء والفخر والحكم فهو يحسن المديح ويجيد العتاب، حيث يقول :



لوت بالسلام بيانا خضيبا ولحظا يشوق الفؤاد الطروبا
أكذب ظني أن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا
ولا بد من لومة انتحي عليك بها مخطئا أو مصيبا

لقد اعترف المتنبي بشاعرية البحتري حيث قال : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري، وعن أبي العباس المبرد قال : سألني عبيد الله بن سليمان عن أبي تمام والبحتري فقلت : أبو تمام يعلو علواً رفيعًا، ويسقط سقوطًا قبيحًا والبحتري أحسن الرجلين نمطًا وأعذب لفظًا.

واعتبر البحتري أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم حيث قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر ؟ فقال : المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري .

الدراما من رحم الشعر

كان رأي الأستاذ العقاد واضحا جليا في الشعر؛ فالشعر هو ما يوزن ويقفى وأن الشعر الحر ليس شعراً وربما ليس فنًا على الإطلاق.

والشعر عند العقاد هو ما كانت قافيته منتظمة وهو الشيء الذي أسماه من يخالفوه تهكما(الشعر أبو ضلفتين) إشارة إلى أبواب الدولاب.

و كان رد المخالفين بأن الشعر العربي مر بعدة أطوار ففي البدء(أي عصر الشعر الجاهلي) كان الشعر يبدأ بوصف الحبيبة أو البكاء على الأطلال حتى عهد أبي نواس الذي قام بتغيير هذا الأمر.

و لكن هذه الحجة كانت واهية جداً ورد عليها أصحاب الاتجاه المحافظ ببساطة : هذا في جانب الأغراض الشعرية، ونحن لم نحدد الأغراض، ولم ندع لذلك.

وبدأت المشكلة تتضح، وهي مشكلة شكل ليس إلا، والأمر المؤكد أن الشعر الحر بحكم الزمن قد انتصر، وهو الآن يقرأ أكثر من غيره بل ويدرس في المدارس الحكومية أيضا.

وهدأت الزوبعة بل نستطيع القول بأنها توقفت تماما.

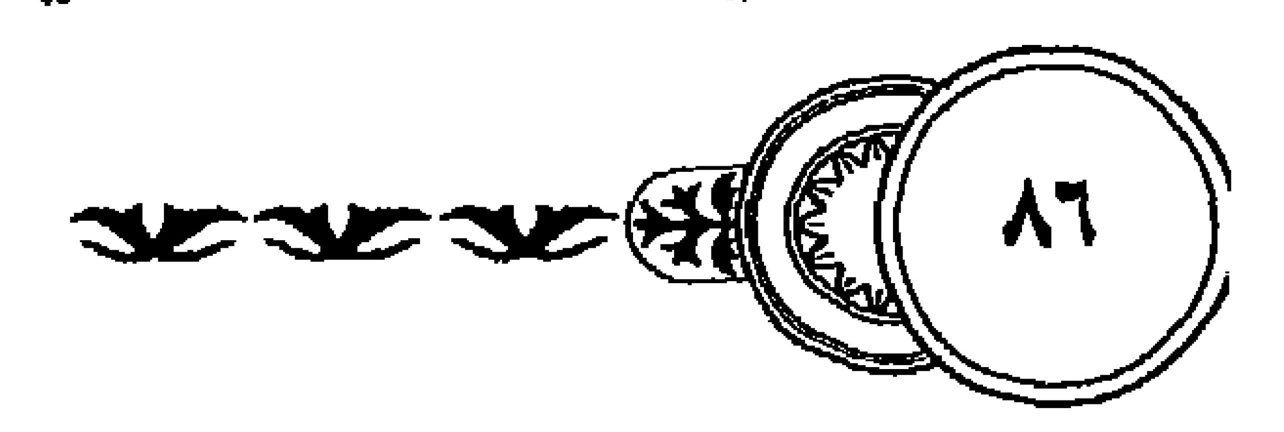
وفي رأينا أن الإشكال كله لا أساس له وقد أسهم الجانبان بنفس القدر على تضخيمه وتصويره وكأنه كارثة.. من جهة الطرف الأول كارثة تمس شكلاً أدبيًا محدداً له تاريخه الطويل وأسسه ونظمه، ومن جهة الطرف الثاني كارثة تحاول أن تطيح بالتجديد وتحاول أن تبقي على الجمود والتحجر.

والشعر هو حقا ما يوزن وله قافية، وهو لون أدبي جميل يمكنك فيه أن تصور أبلغ العبارات والكلمات بأقل التركيبات اللفظية، ويمكنك أيضا أن تستعين بالبلاغة اللغوية من علوم البيان والبديع والمعاني، دون التقيد بغرض محدد أو قضية محددة ويمكنك أن تكتب ما تشاء والحكم يكون من المتلقي.

والشعر فن والفنون قد انبثقت أفرعا كادت أن تصبح عنصرا منفصلا بذاته فمن الشعر خرجت الدراما ومن الدراما خرجت الآداب، فالدراما في الأصل هي عبارة عن مسرحيات مكتوبة ولقد كانت المسرحيات تكتب بلغة شعرية بحتة وذلك حتى ظهرت المدرسة الواقعية برائدها هنريك إبسن ومن بعده جاء أشهر روادها فيكتور هوجو.

ومن المسرحية الشعرية خرجت المسرحية الحوارية ثم الرواية ثم القصة ثم القصة القصيرة ولم يدّع أحد أنه قد قفل الباب من وراء كل ذلك...

قد يعترض أحد بأن هذا السرد إنما يؤرخ لتاريخ الفنون الأوروبية ولا دخل للشعر العربي في هذا، وهذا رأي يبدو وجيها دون الإمعان فيه، ولكن حقائق الأشياء تقول إن الفن لغة عالمية – ونحن نشهد الآن كيف أن كل العالم أصبح يتذوق الفنون والثقافات المختلفة ويدرسها، ولكننا لن نستطيع أن ننكر أيضا أن أوروبا قد قطعت شوطا (تعدى درجة القياس) في مجال الفنون، وأن المناهج الأوروبية في الفنون أضحت لا تعد ولا تحصى، والشعر العربي قد مر - باعتراف الكل - بما يسمى عصر اضمحلال الشعر وهو العصر العثماني وعصر المماليك حتى مجيء البارودي وشوقي وحافظ... أصحاب النهضة الشعرية العربية.



وهذا الازدهار قد أثرت فيه الثقافة الأوروبية تأثيراً كبيراً فشوقي مما لا شك فيه قد تأثر بشكسبير بل حاول مجاراته في كثير من مسرحياته (مصرع كليوباترا) مثلا..

بل إن كل أصحاب النهضة العربية في كل المجالات تأثروا بالنهضة الأوروبية

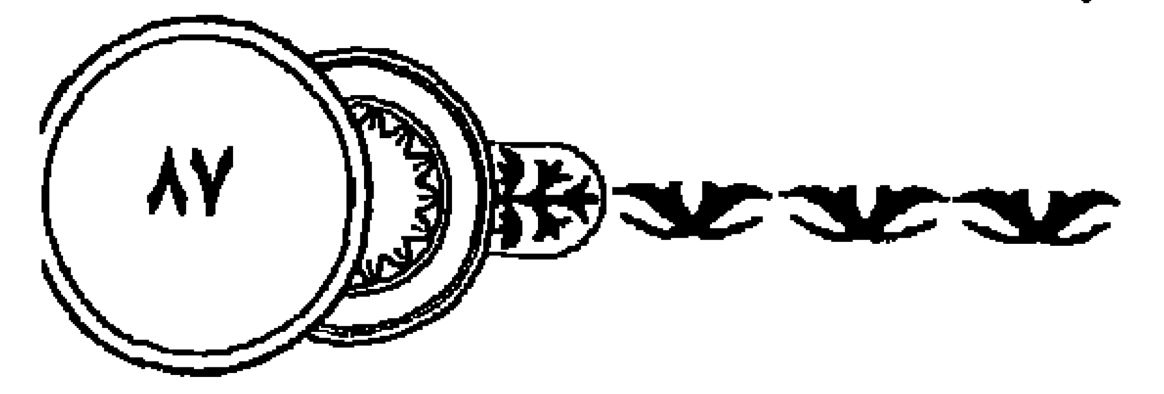
المدارس الفنية في أوروبا

المدارس الفنية متعددة ولكل منها قصة تحكي سر وجودها، وأول مدرسة وجدت على الأرض هي الكلاسيكية البدائية - عند البعض - أو الكلاسيكية الأولى

ثم (الكلاسيكية العائدة، الرومانسية، الطبيعية، الواقعية،الواقعية الجديدة،الملحمية الرمزية، التكعيبية، السريالية، العبثية، التجريبية، ولن نقفل القوس عن قصد.

ولكل مدرسة من هذه المدارس رائد أو عدة رواد ولم يقم أحد من هؤلاء الرواد بتسمية مدرسته التي ينتمي إليها من قبل أن يكتب بها بل إن شكسبير لم يكن يدرك حتى مماته أنه ينتمي لمدرسة ما، لذا فإن المدارس الفنية تعتمد في أساسها التكويني على التجريب، والزمن هو الحكم على استمرارها أو توقفها ولم نشهد مدرسة نشأت دون معارضة ولم نشهد مدرسة توقفت عن العمل حتى الآن.

كل المدارس لاقت ما لاقت من نقد وهجوم ولكنها كلها تعمل حتى الآن في كل أفرع الأدب فلا زال هنالك كتاب كلاسيكيون كما أن هنالك واقعيين كما هنالك عبثيون ... إلخ



ولا يستطيع أحد الآن أن يقول بأن السريالية (كلام فارغ) أو أن الرمزية مدرسة لا معنى لها، ولكنه يمكن أن ينتقد عملا سرياليا لعلة أخرى أما أن ينتقده لصفته فقط فهذا إما جهل بالمدرسة نفسها أو جهل بعملية التجديد.

كتاب فن الشعر

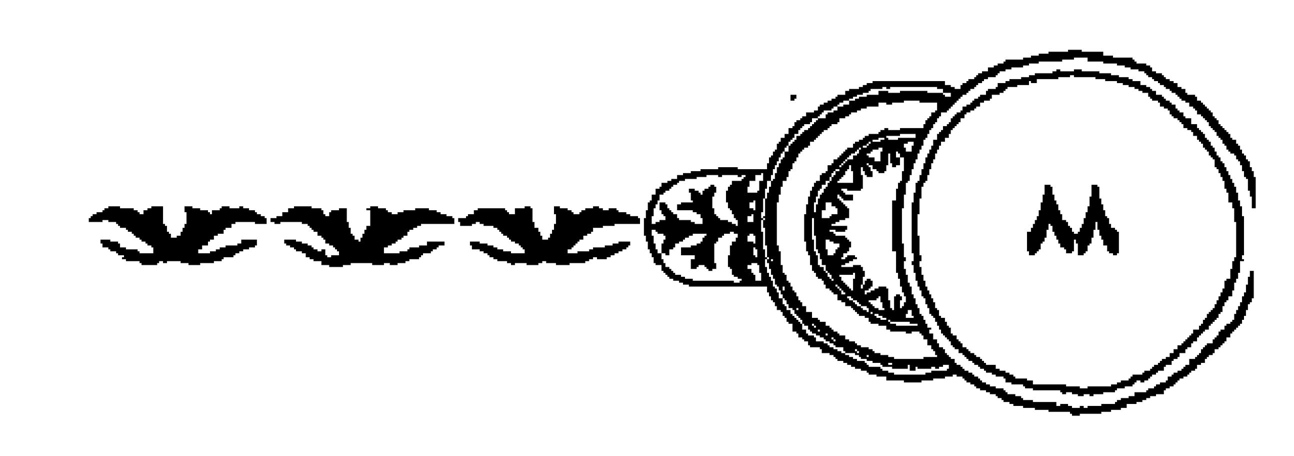
ويعتبر أول كتاب وضع لضبط وتنظيم قواعد الدراما هو كتاب فن الشعر لأرسطو الذي عانت اللغة العربية في زمن سابق من عدم وجود ترجمة دقيقة له.

فالترجمة الدقيقة لنصوص أرسطو تؤدي المعنى بوضوح، وتبين المغزى الأخلاقي من تأصيل هذا الفن ومما ورد فيه قوه:

« التراجيديا هي محاكاة فعل جليل كامل له عظم ما في كلام ممتع تتوزع أجزاء القطعة عناصر التحسين فيه محاكاة تمثل الفاعلين ولا تعتمد على القصص وتتضمن الرحمة والخوف لتحدث تطهيرا لمثل هذه الانفعالات وأعني بـ (الكلام الممتع) ذلك الكلام الذي يتضمن وزنًا وإيقاعًا وغناء وأعني بقولي تتوزع أجزاء القطعة عناصر التحسين فيه أن بعض الأجزاء يتم بالعروض وحده على حين أن بعضها الآخر بالغناء أما الملهاة فهي محاكاة الأدنياء ولكن لا بمعنى وضاعة الخلق على الإطلاق فإن المضحك ليس إلا قسما من القبيح، والأمر المضحك هو منقصة ما قبح لا ألم فيه ولا إيذاء اعتبر ذلك بحال القناع الذي يستخدم للإضحاك فإن فيه قبحا وتشويها ولكنه لا يسبب ألما »(١)

---

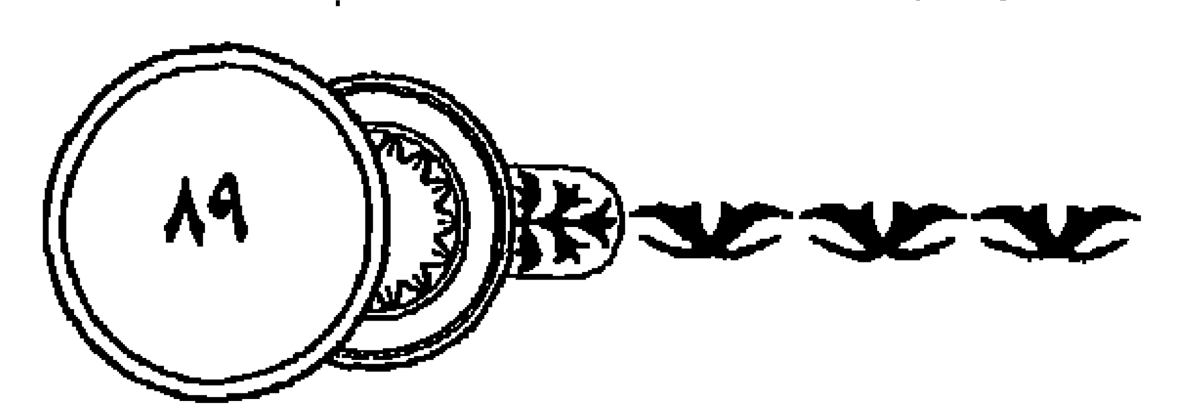
(١) من كتاب فن الشعر لأرسطو.



والحقيقة لو ترجم كتاب فن الشعر ترجمة دقيقة لتغير تصور العرب القدماء عن الآداب اليونانية نفسها، ولأدركوا التباين بين آدابهم وآداب اليونان ولتجنبوا كثيراً البحث عن المماثلة المتعسفة بينهما ولأعطاهم ذلك تصورا أفضل عن خصوصيات أدبهم والآداب الأخرى. بدأ الخطأ إذن بسوء فهم ثم بسوء تفسير وسوء مقارنة بدأ الخطأ مع متى بن يونس أول من ترجم كتاب أرسطو للعربية ثم استفحل ذلك واستقر مع ابن رشد الذي قام بنشر ترجمته عنه أيضا.

ولقد مر على معرفة العرب بكتاب أرسطو قبل ابن رشد حوالي قرنين ونصف فقد عرفت الفلسفة الأرسطية وشاع منطق أرسطو في الثقافة العربية، وعلى الرغم من ذلك فإن كتاب فن الشعر لم يستأثر إلا باهتمام الفلاسفة، وتفسير كل ذلك هو أن الشُّراح العرب قد أدرجوا الكتاب في صلب فلسفة أرسطو، فكان الكتاب عندهم جزءاً من منطقه، وهكذا شرح وفسر ضمن الأفق المشبع بمفاهيم المنطق والفلسفة ولما عورضت أمثلته بنماذج من الأدب العربي كما وقع ذلك في شرح ابن رشد حدث سوء فهم واضح في مقاصد أرسطو، لم يشرح ابن رشد الكتاب بالطريقة نفسها التي شرح بها كتاب أرسطو (ما بعد الطبيعة) فعمله يتردد بين التلخيص والشرح وذلك فرض عليه التخلص من الأمثلة التي أوردها أرسطو للنصوص الأدبية اليونانية وبها استبدل النصوص العربية من شعر وآيات قرآنية.

من المعروف بالنسبة لشروح ابن رشد وتلخيصاته أنها أخذت ثلاثة أشكال هي: تفاسير وتلخيصات وجوامع، فطريقته في التفاسير أنه يورد مقاطع من نصوص أرسطو من الترجمة العربية الشائعة ثم يبادر إلى تفسيرها وشرحها



شرحا دقيقا وعميقا وهو يأخذ أثناء ذلك مما لديه من تفاسير المفسرين اليونانيين المترجمة إلى العربية وأحيانا ينتقدها ثم يبين ما أدركه من نص أرسطو أما في التلخيصات فإنه يورد الكلمات الأولى من نص أرسطو ثم يشرح بقية المواد بلغته ويضيف إليها آراءه الشخصية والمعلومات التي لديه من مصادر الفلاسفة المسلمين بحيث يبدو الأثر بشكل كتاب مستقل تمتزج فيه أقوال أرسطو بأقوال ابن رشد ولا يمكن تمييز أحدهما عن الآخر أما طريقة ابن رشد في الجوامع فإنه يتحدث دائماً عنها بنفسه في الوقت الذي يبين عقائد أرسطو وآراءه ويأخذ خلال ذلك مما في كتبه الأخرى لبيان وإكمال النص الذي بـين يديه ويضيف إليهـا من معلوماته.

إذا نظرنا في تلخيص ابن رشد لكتاب فن الشعر وجدناه يندرج ضمن الطريقة الثانية، فهو مزيج من تصورات ابن رشد المستنبطة من النص الأرسطي المترجم ترجمة سيئة إلى العربية كما ذكرنا، وفيه يكشف ابن رشد عن عدم درايته بالأدب اليوناني الذي جعله أرسطو أساساً للتحليل في كتابه ووثوقه بالترجمة العربية، وذلك قاده إلى توهم العلاقة بين الأغراض الشعرية العربية وبخاصة المديح والهجاء، والأنواع الخاصة بالشعر المسرحي عند اليونان وهي المأساة والملهاة. وبالنظر إلى اختلاف الأغراض عن الأنواع باعتبار الأولى موضوعات والثانية أنساقا وأبنية فنية فقد أقام مشابهة مغلوطة بين الاثنتين استنادا إلى تفسير ضيق خاص بالوظائف وليس بالسمات الفنية. وبهذا يكون قد وقع في خطأين الأول انتزاع تصور نقدي من سياق أدبي وتطبيقه في سياق مختلف. والثـاني إخضاع نصوص أدبية تكونت في سياق خاص لسياق لا علاقة لها به. وذلك فإن كل مصطلح يعجز عن فهمه فهو يرده إلى عادة معروفة في الشعر العربي.

المسرح العربي

نبدأ بالحديث عن المسرح العربي باعتباره أبا الفنون والأصل في فنون أخرى انبثقت عنه مثل السينما والدراما التليفزيونية والإذاعية، ولا يخالجنا شك في أن المسرح العربي قد ولد أوروبي النزعة والهوية، حيث إن المستوردين قد قدموا هذا الفن في قالبه الغربي دون محاولة جدية لتعريب المادة أو التقريب بين هذا الفن الجديد والعقلية العربية والروح الإسلامية، ونحن في هذه الصدد سنحاول أن نعرض للأسباب التي أدت إلى خلق تلك النزعة الغربية التي يعاني منها المسرح العربي حتى الآن.

إننا لا ننكر أن المسرح فن أوروبي، وأن الدراما – وهي كلمة يونانية – ضرب من النصوص الفنية التي تختلف عن النثر والشعر من خلال فقدانها لعنصر السرد حيث إن النصوص الدرامية تطرح الصراع خلال الشخصيات الدرامية وأقوالها، لكن لا يعني هذا أن يكون المسرح العربي مجرد نسخة باهتة للأصل الأوروبي، فهناك أعمال أدباء عرب من العصور الوسطى تحتوي على عناصر درامية، يمكن إعدادها للمسرح، نذكر على سبيل المثال لا الحصر "البخلاء" للجاحظ، "حي بن يقظان " لابن طفيل، فوجود مثل تلك النصوص يجعلنا نتساءل: لماذا لم يحاول القائمون على المسرح في مرحلة النشأة إعداد مثل تلك الأعمال للمسرح بدلا من محاولة تعريب الشخصيات الدرامية الأوروبية لعرضها في إطار عربي، كي تتناسب مع قاعدة الجمهور العام، وبعض تلك المحاولات قد أساء إلى النص الأصلي دون أن يصل بالشخصية المترجمة إلى الواقع المحلي، ومثالا لذلك ترجمة وإعداد نجيب الحداد لنص شكسبير روميو وجولييت، التي عرضت

سنة ١٨٩٠م باسم شهداء الغرام، وهي مزيج ما بين نثر وشعر، حيث يطالعنا روميو- الذي أدى شخصيته الراحل سلامة حجازي - كعاشق عربي؛ قد أسهده الحب وجافاه المضجع، فبات يتطلع للقمر وينشد الشعر كدأب الشعراء العرب، لم يبدأ المعد بمشهد شجار الشارع الذي يجسد طبيعة الصراع بين العائلتين ويلقي الضوء على البيئة التي نبت فيها هذا الحب، وإنما بدأ بلقاء الحبيبين الرومانسي وكأن علاقة الأسرتين عامل ثانوي ومحور الدراما هو الحب. لم يبرز المترجم الصراع الذي قاد الشخصيات إلى النهاية المأساوية، وإنما قدم قصة حب حزينة تترجح بين المنظور العربي للحب وطبيعة الشخصيات الأوروبية التي قد أهملها المعد؛ ليتيح للمشاهد التعاطف مع الشخصيات الرئيسية من خلال معايشتها للحب بمفهومه العربي. ومن ثم قدم نجيب الحداد بدلا عن روميو الإيطالي روميو البادية. مثال آخر من سلسلة الإعدادات للأعمال المسرحية العالمية بتلك المرحلة هو هاملت عام ١٩٠١م لطنيوس عبده، إذ إن المترجم لم يسمح بموت بطل كهاملت فالأبطال لديه لا يموتون، لم ينته النص بموت هاملت، وإنما بظهور شبح الأب ومطالبة هاملت باسترداد العرش، وبذلك نجدنا أمام هاملت من نوع آخر ليس كما قدمه شكسبير مترددا ومفكرا، ولكن هاملت على شاكلة سيف بن ذي يزن.

على ضوء المثالين السابقين يتضح لنا أن المترجمين- في المرحلة اللاحقة للاستيراد- قد حاولوا جهد طاقاتهم تعريب الشخصيات دون الدراما، ولكي يتسنى لنا فهم ذلك، يكفينا أن ننظر لأحد جمل مع هاملت الخالدة، التي كان من الأفضل أن يتنازل عنها المعد حتى لا تتعارض مع هاملت المعرب " كائن أم غير كائن، تلك هي المسألة "، إن تلك المقولة التي يلفظها هاملت متسائلا عن وجوديته

ومحللا للأحداث بينما والده قد اغتيل على يد عمه كلاوديوس، لجديرة أن تطرح هذا السؤال: هل من المعقول لدى المشاهد العربي أن يطرح المطالب بالثأر موضوعًا كهذا؟ إنه ولا شك هناك توازٍ ما بين مقولة كهذه ومقولة امرئ القيس في موقف مشابه حيث قال " اليوم نساء وخمر، وغدا ثأر وأمر "، امرؤ القيس بتلك المقولة قد حسم أمرا، ولكن مشكلة هاملت أنه لا يستطيع الحسم، ولذلك تأتي جملة مثل تلك معارضة لطبيعة هاملت الجديدة التي قد منحتها له الترجمة، وعليه لم يتعرف المشاهد على هاملت كما لدى شكسبير ولم ير هاملت العربي، وهناك العديد من الأمثلة التي تؤكد أن تعريب الدراما هو الأساس وليس تعريب الشخصيات، فلربما كان من الأسهل بدلا عن الترجمة أن يبحث المعدون عن المادة العربية التي بدورها تقدم شخصيات عربية، دون الوقوع في متاهة التعريب والترجمة وتشويه النصوص الأصلية.

فمن هنا نرى أن أحد الأسباب الرئيسية لمشكلة الهوية في النص العربي هو الدوران في فلك الدراما الأوروبية والتقليد، وكأنها شيء مقدس لا يجب الخروج عنه أو التحرر منه، إننا لا ننفي وجود دراما عربية على درجة عالية من الجودة في أوائل العشرينيات من القرن المنصرم كأعمال فرح أنطون (١٨٧٤م – ١٩٢٢م)، إبراهيم رمزي (١٨٨٤م – ١٩٤٩م)، محمد تيمور (١٨٩٢م – ١٩٢١م)، ولكن قد استغرق ظهور مثل تلك الأعمال ما ينيف على نصف قرن.

إنه من الطبيعي أن يحتاج المجتمع فترة زمنية لهضم فن جديد والتفاعل معه، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن نوعية هذا الفن ليست بالغريبة مطلقا، وخاصة في مصر وبالتحديد في القرن الثالث عشر حيث إن الجمهور قد اعتاد على مشاهدة

خيال الظـل، ورائد هـذا الـن هـو شـمس الدين مـحـمد ابن دانيال (١٢٤٨م - ١٣١١م)، والذي كتب نصوصًا لتلك النوعية من المسرح منها على سبيل المثال " طيف الخيال ". ويلي مرحلة خيال الظل الكراكوز وهي تركية بمعنى " العين السوداء "، وبالعامية المصرية " أراجوز "، وهو غني عن التعريف، فمنذ الطفولة يعرف الأطفال الأراجوز ويحبونه. ومن هنا نرى أن فن المسرح والدراما بغض النظر عن التشخيص ليس بالغريبين على المجتمع العربي، حتى يحتاج تلك الفترة الزمنية لتقديم أعمال درامية عربية، على الرغم من وجود جسر اتصال يمثله خيال الظل.

وخلاصة القول أن فن كتابة الدراما هو ابن شرعي لفن الشعر وفيه تتحول الأبيات ذات الصفة السردية إلي أحداث يبرزها حوار تقوله شخصيات ينتقيها المؤلف لتوصيل فكرته، لذا تطلب الأمر نشأة فن آخر هو فن التمثيل الذي سنتحدث عنه إن شاء الله في الباب القادم.

فن التمثيل بين الحلال والحرام

هل التمثيل جائز في الإسلام؟ وهل يجوز للمرأة إذا كان يجوز للرجل؟ لا فرق في رأيي بين الرجل والمرأة في العمل عامة، فحلال العمل حلال للرجل والمرأة وحرام العمل حرام للرجل والمرأة، وما أظن أن هناك أعمالاً تحل لأحد الجنسين وتحرم على الآخر، والاستثناء الوحيد هو أمور الولاية العامة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : " إنما النساء شقائق الرجال "، وهذا بعد قول الله جل شأنه :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[1]

وخلصنا في الباب السابق أن التمثيل فن، أصله مشروع لأنه وسيلة إيضاح وآلية تعليم وتبيان، والتمثيل عبارة عن ضرب مثل بالحركة والفعل، فإذا كان ضرب المثل بالكلمة والعبارة جائزاً مشروعاً – وقد ضرب الله الأمثال الوفيرة في القرآن الكريم – فإن التمثيل بالحركة والفعل – ومن باب القياس على التمثيل بالحركة – جائز لا إشكال فيه، بيد أننا كما اشترطنا في التمثيل بالكلمة أن تكون الكلمة نظيفة عفيفة لا فحش فيها ولا سوء، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : " ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء "[2] فكذلك يشترط في التمثيل بالحركة : النظافة والطهارة والعفة وعدم الفحش وعدم البذاءة وعدم العهر، ولا نفرق في حل التمثيل النظيف بين رجل وامرأة، أما إذا خالف التمثيل هذا الشرط غدا انحطاطاً وفحشاً، والله عز وجل نهانا عن الفحش والسوء كما أوضحنا في الفصل الأول، ونحن مع تمثيل فكرة نافعة تحمل قيمة اجتماعية رفيعة، ومع تمثيل قصة واقعية أو متخيلة ذات مضمون إنساني بنّاء تحمل أيضاً قيمة إنسانية نافعة

---

(١) من الآية ٧١ من سورة التوبة.

(٢) رواه الترمذي.

أما إذا اتجه الأمر إلى سوى ذلك أو إلى عكس هذا فالأمر خطر وجلل وفتن شريرة.

الإسلام لم يقف ضد الفن بل يشجع الفن، ولكن هيهات أن نخلط بين الفن وبين الترهات والفساد، وعندها يقف الإسلام ضده، لأن الإسلام خير كله.

ولست أدري بعد كل ما تقدم ما المانع أن تمثل فنانة دور الأم في مسلسل أو في فيلم يعرض قصة عن بر الوالدين، إذا تقيدت هذه الممثلة بقيود الطهر والعفاف ؟ وكذلك ما المانع أن تمثل دور البنت أو الأخت أو.. أو، مع التقييد بالشروط السالفة ؟ لكننا نستدرك فنقول : إن هنالك أدواراً لا يمكن أن تكون مشروعة لعدم إمكان تطبيق الشروط عليها، فمثلاً لا يمكن أن نقول : يجوز للفنانة أن تمثل دور راقصة ولكن بشروط، لأن أصل الدور خالٍ من القيمة الإنسانية المطلوبة إسلامياً.

والتمثيل فعل إنساني قديم كان مع الإنسان منذ وجد الإنسان، واستمر وسيستمر إلى قيام الساعة، فالطفل الصغير يمثل حينما يقلد والده وهذا أمر فطري، البنت الصغيرة تمثل حينما تأخذ دور الأم مع لعبتها، وهكذا.

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج عن الإطار الإنساني في هذا الشأن فقد كان صلى الله عليه وسلم يحبو كأنه الجمل ويطلب من الحسن والحسين أن يحملا عليه، فيقول عمر بن الخطاب لهما – للحسن والحسين – : نعم الجمل جملكما فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " ونعم الحملان هما "، أليس هذا تمثيلاً ؟ أليس نقل صورة من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن نبي آخر ضربه قومه

فأدموه، كما روى ابن مسعود فقال : رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكي نبياً من أنبياء بني إسرائيل ضربه قومه فأدموه فجعل يمسح الدم عن جبينه ويقول : " اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "، أليس هذا تمثيلاً ؟ ولا سيما أن ابن مسعود قال : رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكي، والحكاية بالفعل والتقليد هي التمثيل بعينه.

وبعد الأمثلة التي ذكرناها لا نستطيع أن نجعل التمثيل كذبًا، لأن التمثيل حكاية ونقل صورة فعلية، وضرب مثل بالحركة أما الكذب فنقل غير الواقع لغرض شرير، أو ترتيب مخالف لما عليه الواقع لغاية فاسدة، فأين منه التمثيل الذي حددناه وأطّرناه ؟ وهل إذا أعدت ترتيب قصة جرت في سالف الأيام فحاكيتها ومثلتها من خلال شخصيات أو أشخاص اليوم لتجلية القيمة التي تحملها القصة بشكل أقوى يكون كذباً ؟! حاشا ثم حاشا.

أما الأدوار الشريرة وأدوار مزاولة المنكر فكلها تمثيل والتمثيل فن حلاله حلال وحرامه حرام، ولو أننا أردنا تمثيل غزوة بدر مثلاً فقام بعضنا بدور حمزة وقام آخر بدور أبي جهل فهل تمثيل دور أبي جهل يكون حراماً ؟ طبعاً لا، وكذلك على سبيل المثال : إذا أردنا تمثيل قصة متخيلة لتجلية قيمة رعاية الواجب، فمثّل بعضنا دور الشرطي الأمين الثقة القائم بعمله خير قيام ومثّل آخر دور السارق فهل يكون تمثيل دور السارق حراماً ؟

والرذيلة لا توصل إلى الفضيلة، والشر لا يؤدي إلا إلى الشر، وهيهات أن يكون العهر في خدمة الطهر، والمسلمون ليسوا وصوليين وليسوا مع إطلاق القاعدة

الميكيافيلية القائلة " الغاية تبرر الوسيلة " وهل نضمن حصول الغاية النبيلة إذا سلكنا لتحقيقها طريقاً غير نبيل ؟ أما نخشى أن يسقط كثيرون في وحل تلك الوسيلة ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القائل : " إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم "،[1] والوسيلة غير المشروعة مرفوضة كما الغاية غير المشروعة، همنا كل مشروع ورفضنا لغير المشروع، لذا فالمشاهد الساخنة والمشاهد التي يتعرى فيها جسد المرأة عبارة عن ممارسات تخالف الشرع ولا يمكن اعتبارها لأي سبب ضرورة لتوصيل غاية نبيلة.

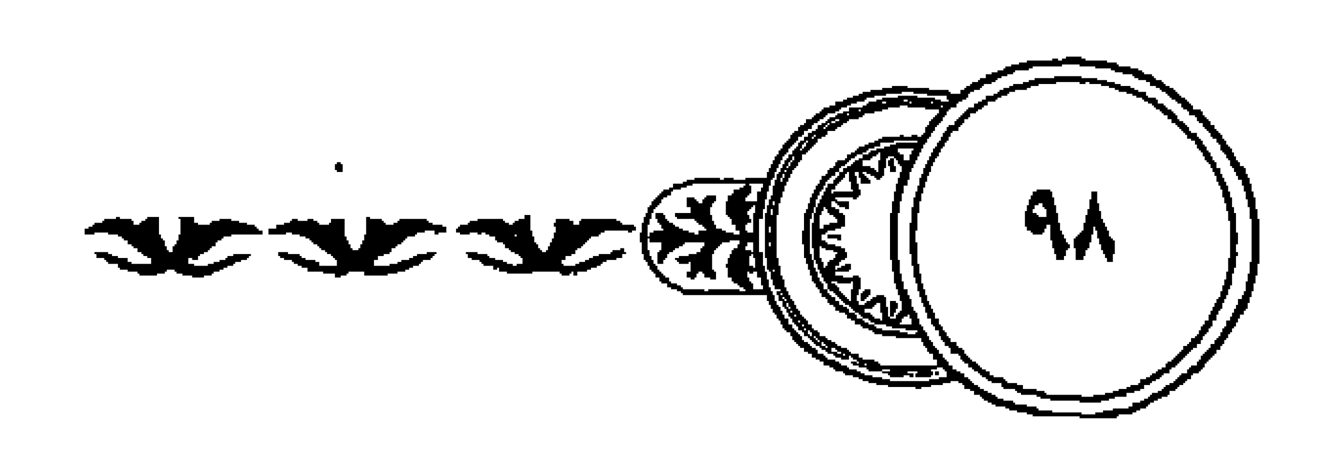
أما بالنسبة لمشاهد العنف فالرأي عندي أن العنف ليس مرفوضاً على إطلاقه، وأمير الشعراء يقول : الحرب في حق لديك شريعة

وبالمثل إذا أحسن الفنان استخدام الغنف وكان له دور في البناء، فلو أنه قام بتوظيفه لصالح الردع لكان جيداً، ردع المجرم عن جريمته، وردع الخائن عن خيانته، وردع الانتهازي عن انتهازيته، وهكذا وليس ثمة مانع من تصوير وتمثيل مشاهد لعقوبة الزاني وعقوبة الخائن وهي مشاهد عنيفة لكنها تردع وتمنع وقوع الفعل.

أما مشاهد العنف التي تولد الولع بالجريمة وتثير كوامن الإجرام لدى الإنسان الرائي فهذا ما لا يرضى الشارع الحكيم به، على أننا حين نتحدث عن العنف يجب أن لا ننسى الذين يقع عليهم العنف الحقيقي فنناصرهم ونعاونهم ونذكر هنا إخوتنا الفلسطينيين الذين يمارس عليهم العنف بأبشع صوره وأشكاله

---

(١) رواه البخاري.



من قبل الإسرائيليين، يقتلون وتسلب أراضيهم، وتجرف زراعتهم، ويرمى أطفالهم الأبرياء بالرصاص الغاشم، وتحتل مدنهم وقراهم. ولعلنا حين نعرض أفلاماً توثيقية عن مثل هذه الجرائم نساهم في دعوة الإنسان أياً كان إلى مناصرة الحق والمظلوم. العنف والرعب انفعالان طبيعيان لا نريد نبذهما وإبادتهما، لأن ذلك غير ممكن، لكننا نريد توظيفهما لتحقيق خير وإنجاز عدالة وإقامة حرية واعية، وهكذا.

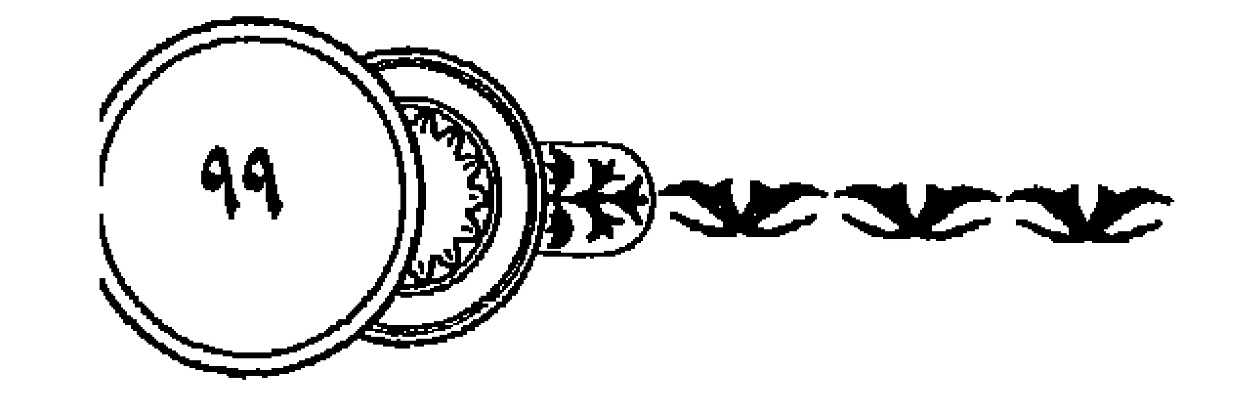
وقد أفتى أحد شيوخ مصر أن الزواج في الأعمال التمثيلية هو زواج حقيقي

وهذا غير مطابق لمنطق الشريعة لأنه ظاهر من غير باطن، وفعل من غير نية وقول لا يستند إلى إرادة الزواج الحقيقي وتكوين أسرة، لكننا نميل إلى عدم فعله ولو تمثيلاً بنفس ألفاظ الإيجاب والقبول التي اشترطها الشرع وذلك من باب درء الشبهات ودفع الاحتمالات السلبية، ولا سيما أن التصريح بألفاظ عقد الزواج في التمثيل لا يخدم الفكرة أو بمعنى آخر ليس له من أثر إيجابي على توضيح المعنى المطروح والمقدّم، فالأمور بآثارها والقضايا بنتائجها، وصدق رسول الله القائل: " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "[١] والقائل: " من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى ...» ".[٢]

و يجب أن يتحرى الكاتب والمخرج الصحة في نقل الواقعة التاريخية المراد تمثيلها وإخراجها إذا أراد أن يقدم عملاً دينيًا، والتحري هذا يستلزم ويستتبع سؤال المختصين وطلب رأيهم، وعرض العمل عليهم، وأعتقد أن مخرج فيلم

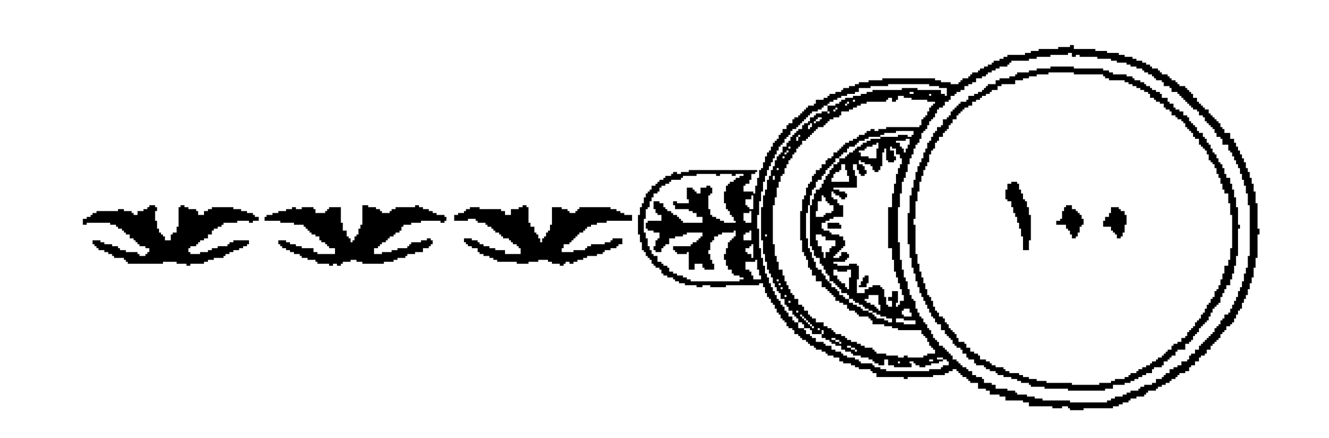
---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.



"الرسالة " قام بهذا الذي أشرنا إليه، فقد أشرف على العمل ذوو اختصاص في ميدان التاريخ والسيرة واللغة، كما عرض المخرج فيلمه على مجمعات ومؤسسات دينية كالأزهر والنجف، وقد رأينا ذلك مسجلاً في مستهل الفيلم عندما شاهدناه ولقد ذكر متصل بقناة فضائية إخبارية يقيم بالولايات المتحدة الأمريكية أن جاراً له سأله عن دين الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكان السائل يطرح حقيقة ما تذكره وسائل الإعلام الغربية عن دموية هذا الدين، فقام المتصل وكان على وشك النزول إلى عمله بتقديم شريط فيديو عليه نسخة من الفيلم إلى هذا الجار، وبعد يومين يأتي له الجار - كما يقول المتصل - ويشكره على الشريط الذي بين له كثيراً من الأمور الرائعة التي لم يكن يتصور كون دين الإسلام الحنيف قائما عليها، ووعده بدراسة هذا الدين دراسة متأنية، ولقد أنهى هذا المتصل حواره بأمنية وجود ١٠٠٠ فنان مثل مصطفى العقاد في الأمة يستطيعون توضيح الوجه الحقيقي للرسالة إلى المجتمعات غير المسلمة لأن الفن لغة تخاطب كافة الشعوب.

والإسلام دائما مع الفكرة التي تخدم الإنسان، وتخدم قيمه وفضائله، وهو مع الفكرة التي تنشر الأمانة وتعمم الصدق، وتنشد السلام والطمأنينة، نحن مع ما يبني الأسرة ويقوي روابط أفرادها فيما بينهم، نحن مع كل عمل يسعى للبناء وفق معطيات السماء الموثوقة، وأما الأفكار التي تجانب هذا فالإسلام ضدها، لأن الإسلام بصفة عامة ضد الرذيلة ونشرها، وضد الانحطاط وترويجه، وضد العهر وبسطه، وضد الفساد الأخلاقي وبثه، وهكذا... وصدق الله تعالى القائل :



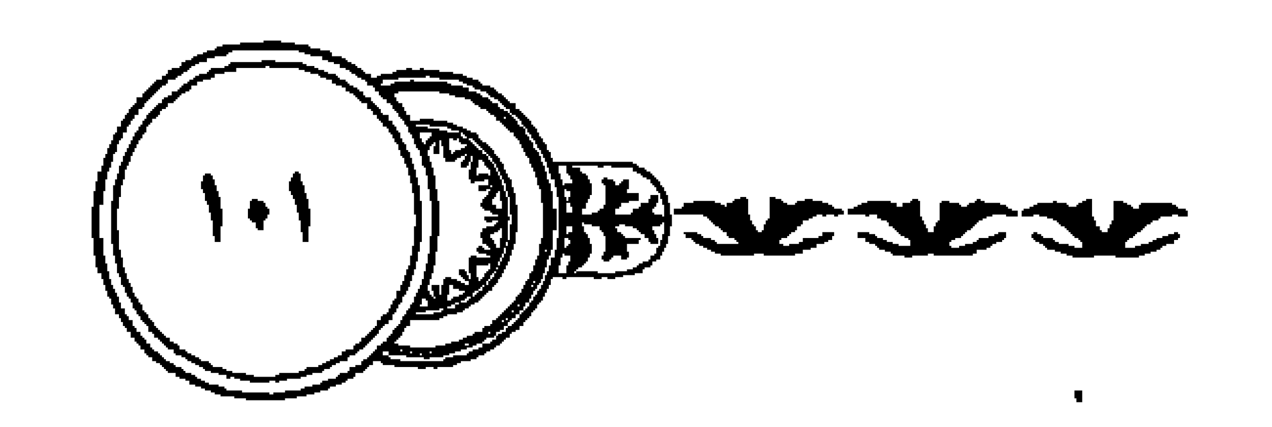
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١]

كما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال : " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت "[٢]، والقائل أيضاً : " من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة عُمل به من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيء ".[٣]

(١) الآية ١٩ من سورة النور.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده.



الخاتــمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه، ورفعة مكانه، وعظيم عرشه، وسعة كرسيه، وصلى الله على سيدنا محمد الذي بين لنا أن من أشراط الساعة كثرة الجهل وقلة العلم - والمقصود بالعلم هو علوم الدين - ليس فقط برفعه من القلوب وانتزاعه من الصدور، ولكن بقبضه سبحانه للعلماء، حتى إذا لم يبق منهم عالم اتخذ الناس رؤساء الجهل فأفتوا بغير علم، وأعوذ بالله أن أكون منهم، أو أن أدعي في نفسي شروط من يفتي في أمر المسلمين خصالهم، ولكني رغبت فقط في طرح أمر تتحير فيه النفس، كما يتحير فيه الأحبة والمقربون والمحيطون فالروح تطرب لفن أصيل، وجمال هو من صنعة الخالق العظيم، والضمير يئن من استعذاب الحرام - لفتوى البعض بحرمة الفن على اختلاف أنواعه - وكنت بين استعذاب الفن، والخوف من حرمته في نزاع، فرددت الأمور إلى أصولها، فاتخذت كتاب الله سبيلي، وسيرة الهادي دليلي، ثم تأملت الشعر العربي كفن عُرف قبل دعوة النبي، وعُرف في حياته، وعُرف بعد وفاته، وهو فن انبثقت عنه فنون كثيرة واعتمدت عليه فنون أخرى، فإذا كان الشرع قد أباح الأصل بشروط، واستحسن الجيد منه، فإن الفروع دون شك حسنة إذا ما تمسكت بنفس الشروط ولم تحد عنها، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أباح الزواج بخاتم من حديد، فهل يُحرم بخاتم من ذهب؟ وإذا أحل لنا ركوب الدواب فهل يحرم علينا ركوب السيارات؟ وهل يمكن اعتبار السيارات بدعة، أو القول بأنها مستحدثة في الغرب غير المسلم وقد نهينا عن التشبه بهم.

أعود وأكرر أني لا أفترض في نفسي قدرة الإجابة عن مثل هذه الأسئلة ولكني أكتفي فقط بطرحها، والدين الإسلامي يتيح للمؤمن أن يستفتي قلبه ويقبل ما يرتاح له هذا القلب، ويرفض ما يحيك بالصدر، ويخاف المرء أن يطلع

عليه الناس ، والإسلام أباح للإنسان كل شيء جميل ، فقط بشروط التمتع بهذا الجمال ، فالمال زينة الحياة ، وللمرء أن يتمتع بماله بشرط دفع الزكاة وإخراج الصدقات ، ولنا أن نتمتع بالأكل والشرب بشرط عدم الإسراف ، للمرء أيضا حق الحصول على متعة جسده بشرط الزواج ،... وهكذا نجد أن الإسلام لم يحرم المتع الدنيوية على عباد الله الصالحين ، ولم يطلب منك الدين أن تنسى نصيبك من الدنيا ، ولم يطلب منك الرسول ألا تروح عن قلبك ولو لساعة ، فهو ﷺ كان يصوم ويفطر ويتزوج النساء ، ولم يستقبل المؤمنون رسول الله مهاجرا إلى المدينة إلا بالغناء ، والأغنية – القصيدة – التي استقبل بها النبي هي عمل فني تام الشروط :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا يا خير داع

علك تلاحظ معي الصورة والتشبيه والجرس الموسيقي والإيقاع الاحتفالي والمضمون الواضح والوعد الصريح.

ولعل شروق شمس النبوة في المدينة هو الذي مهد الطريق للدعوة والدولة ولعل شروقا آخر هو ما نحتاج إليه الآن.

المراجع

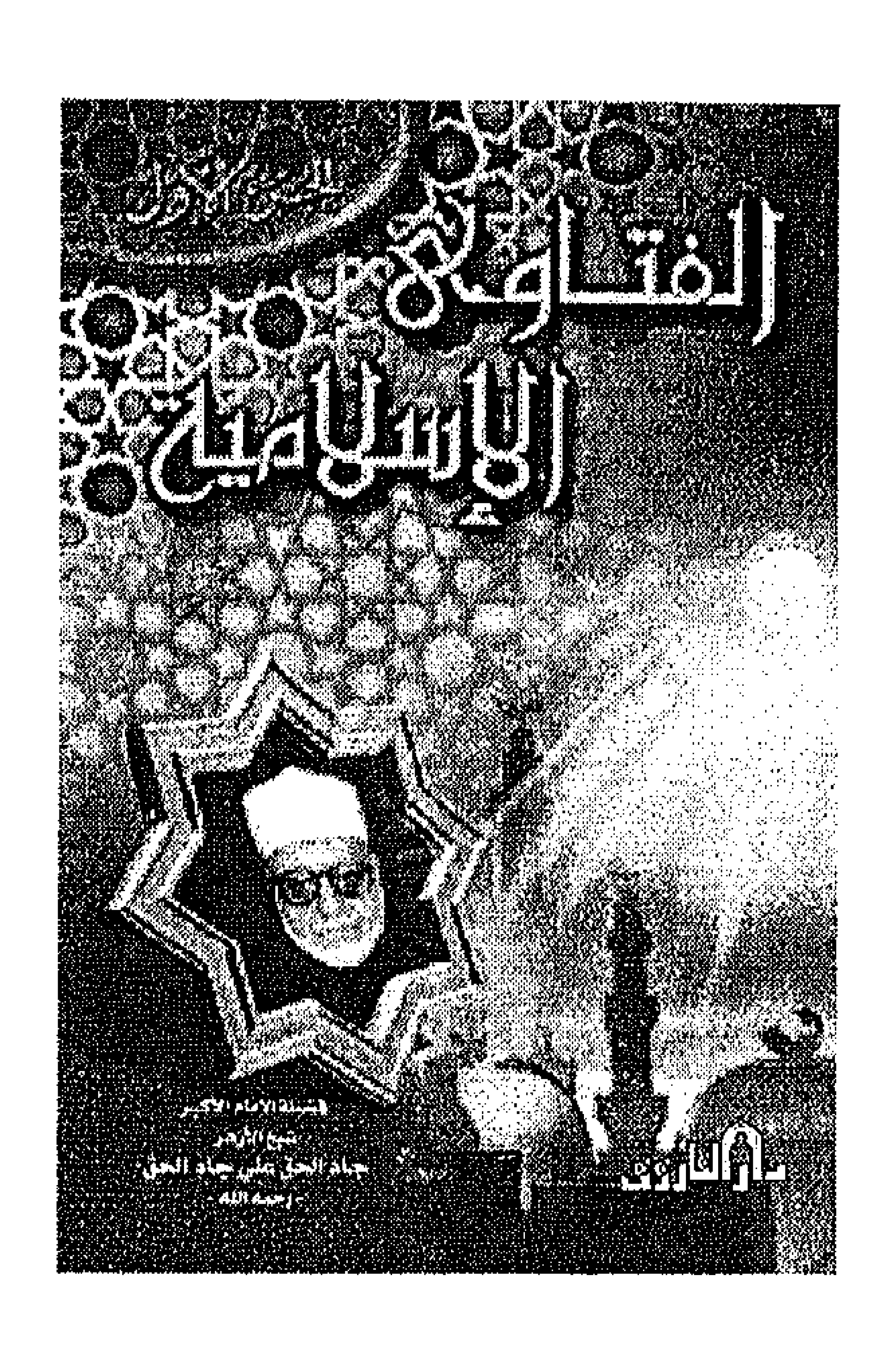
- تفسير القرآن ابن كثير.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله البخاري ، دار إحياء الكتب العربية.
- البداية والنهاية، ابن كثير.
- تاريخ الخلفاء السيوطي.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، دار الجيل، بيروت- لبنان.
- ظهر الإسلام أحمد أمين.
- النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، مكتبة نهضة مصر.
- نوابغ الفكر العربي،ابن رشيق القيرواني، عبد الرؤوف مخلوف، دار المعارف.
- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف.
- البلاغة العربية نشأتها وتطورها، حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، ١٩٧٣م.
- في الشعر الجاهلي د. طه حسين.
- أدب السياسة في العصر الأموي، د. أحمد محمد الحوفي ، دار النهضة.
- مروج الذهب، أبي الحسن علي بن الحسين.
- الإسلام في عصر العلم، د. محمد أحمد الغمراوي.

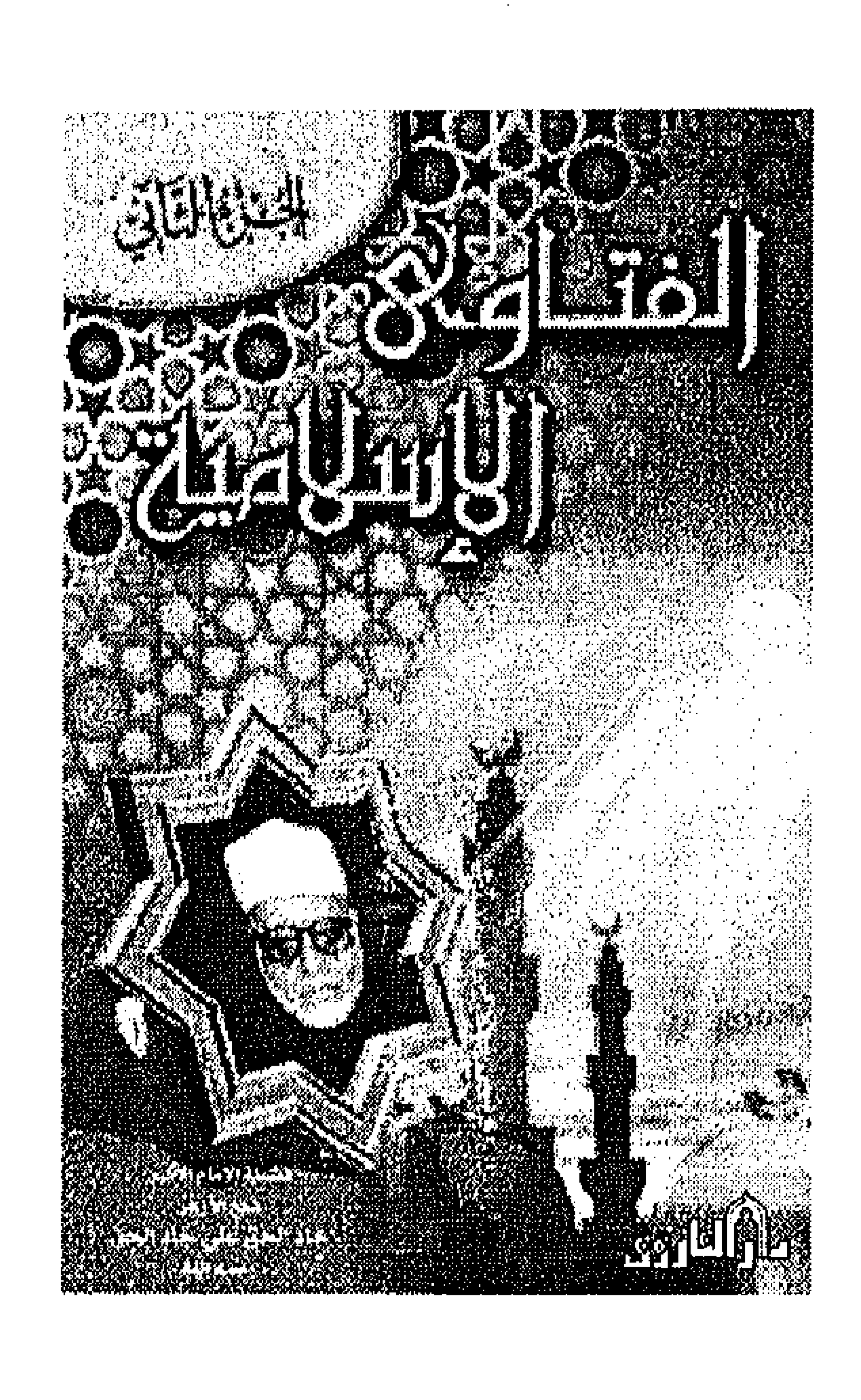
- قذائف الحق، محمد الغزالي.
- نظام الحكم في الدولة الإسلامية، المستشار عمر شريف ١٩٧٨م.
- السيرة المحمدية، أحمد حسن الباقوري.
- تراث الإسلام، جـ١ . ٢ ترجمة، د. حسين مؤنس.
- التيارات المسرحية المعاصرة، د. نهاد صليحة.
- مجلة فصول، جـ ١، ٢ - ١٩٨٥

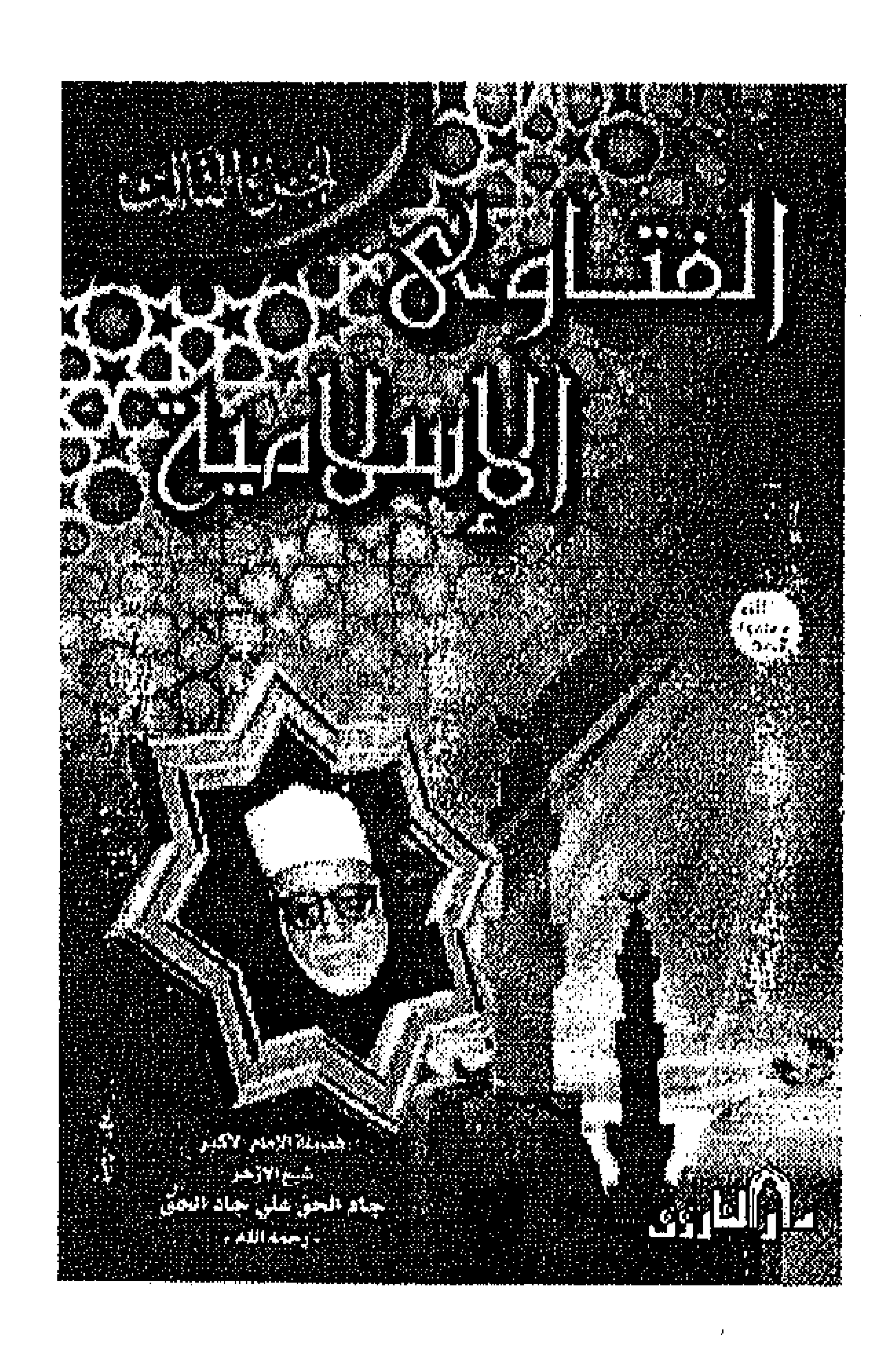
الفهرس الموضوعي

من إصدارات دار الفاروق

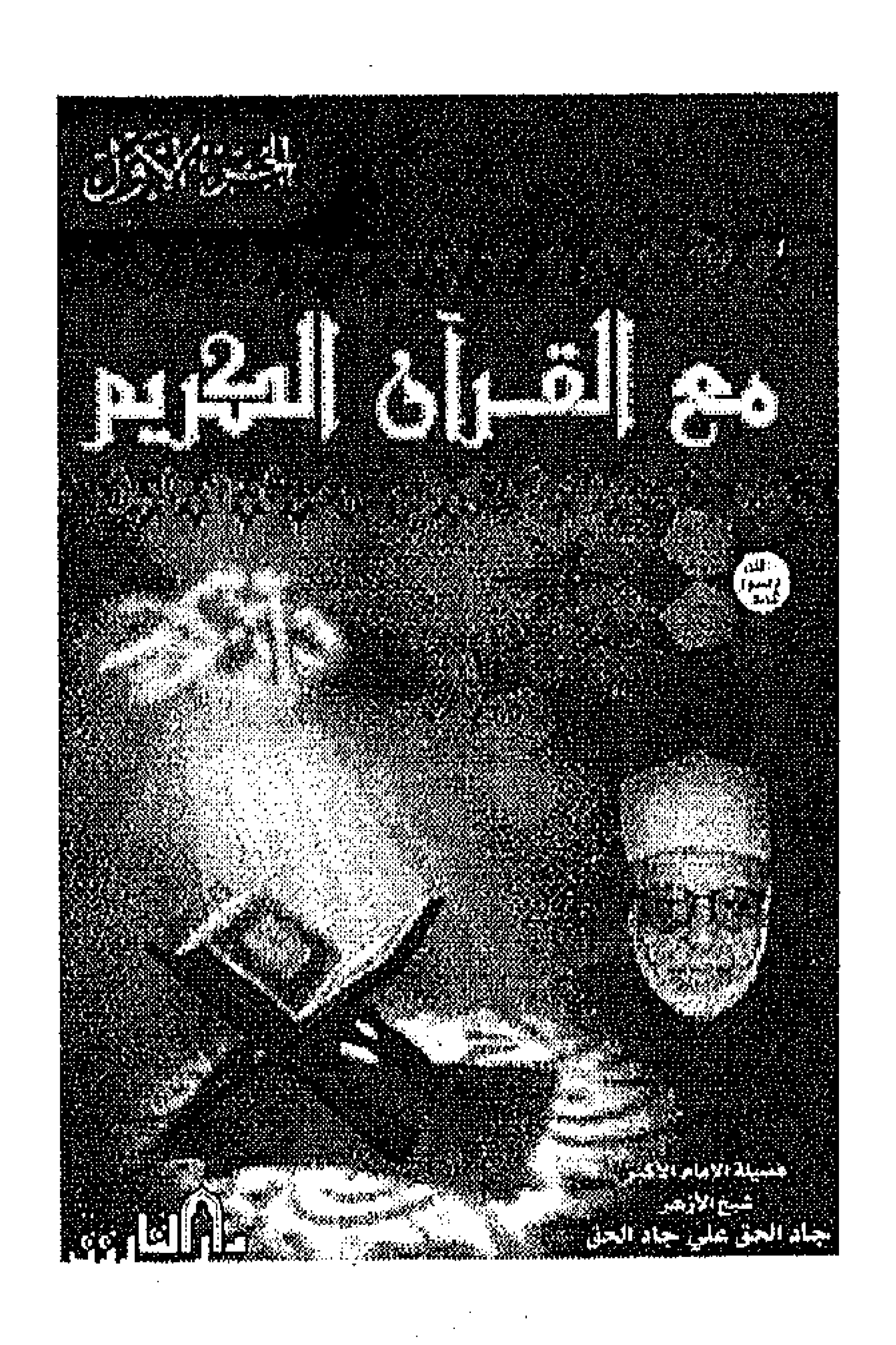
مؤلفات فضيلة الإمام الأكبر/ جاد الحق علي جاد الحق

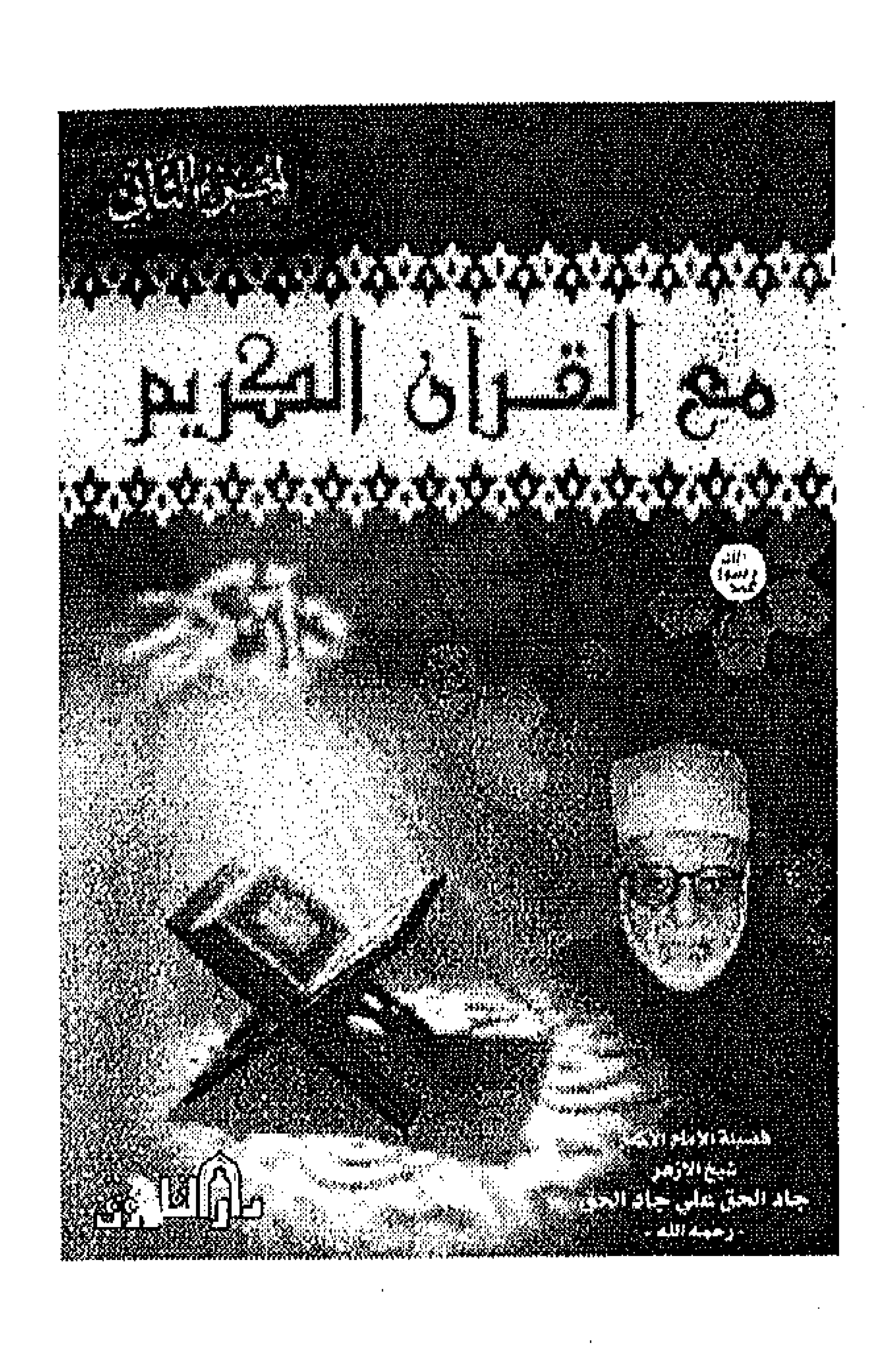


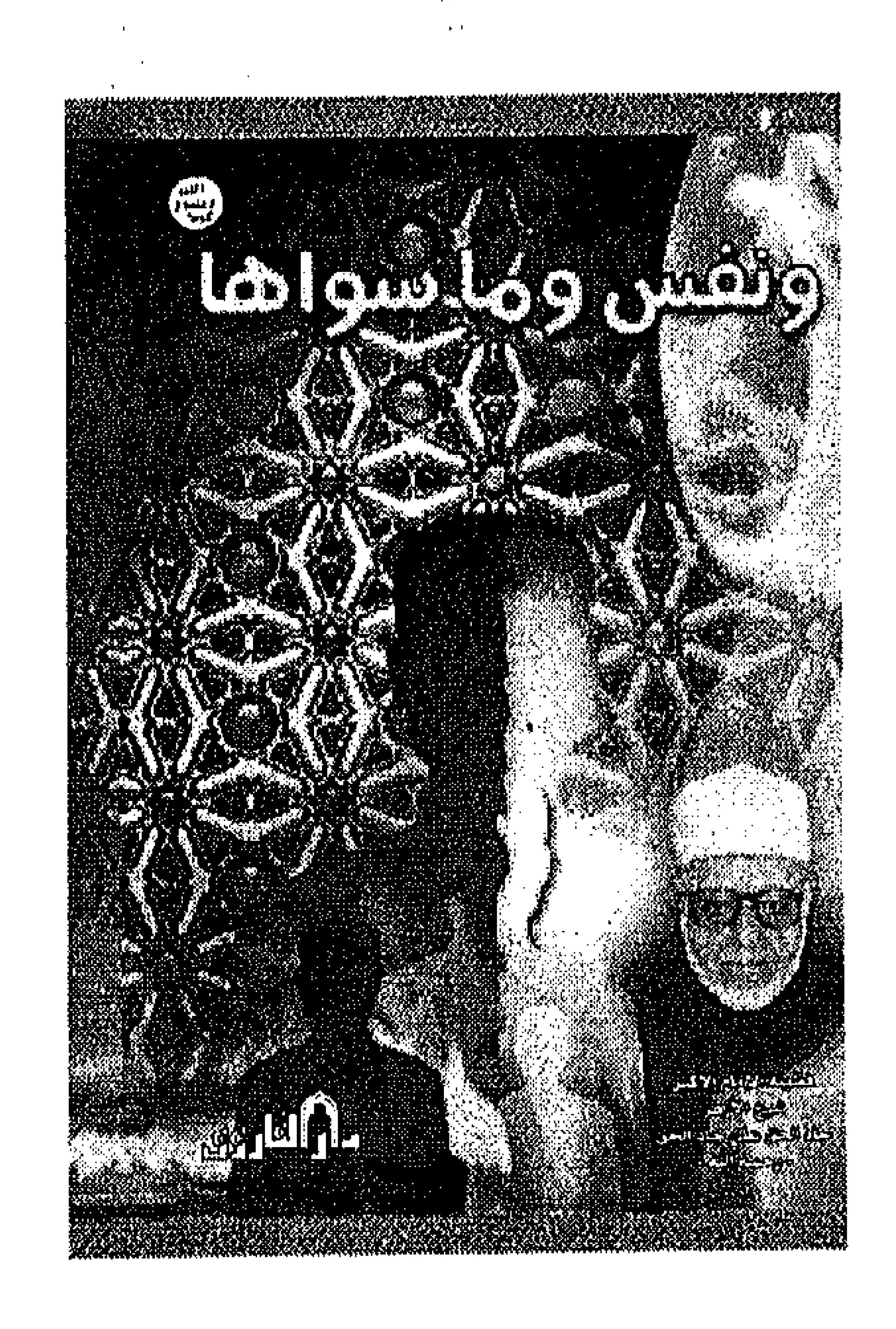




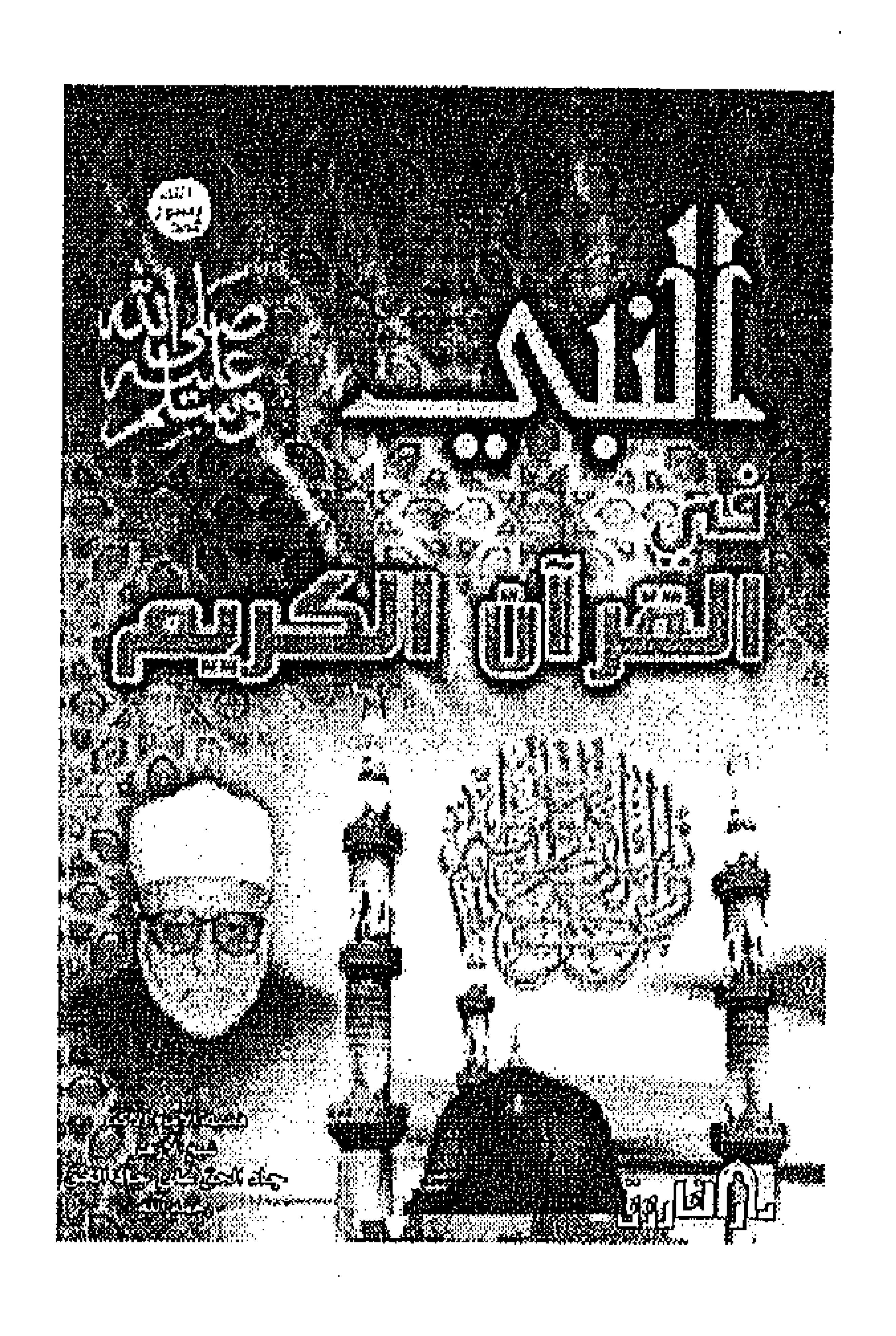
من إصدارات دار الفاروق

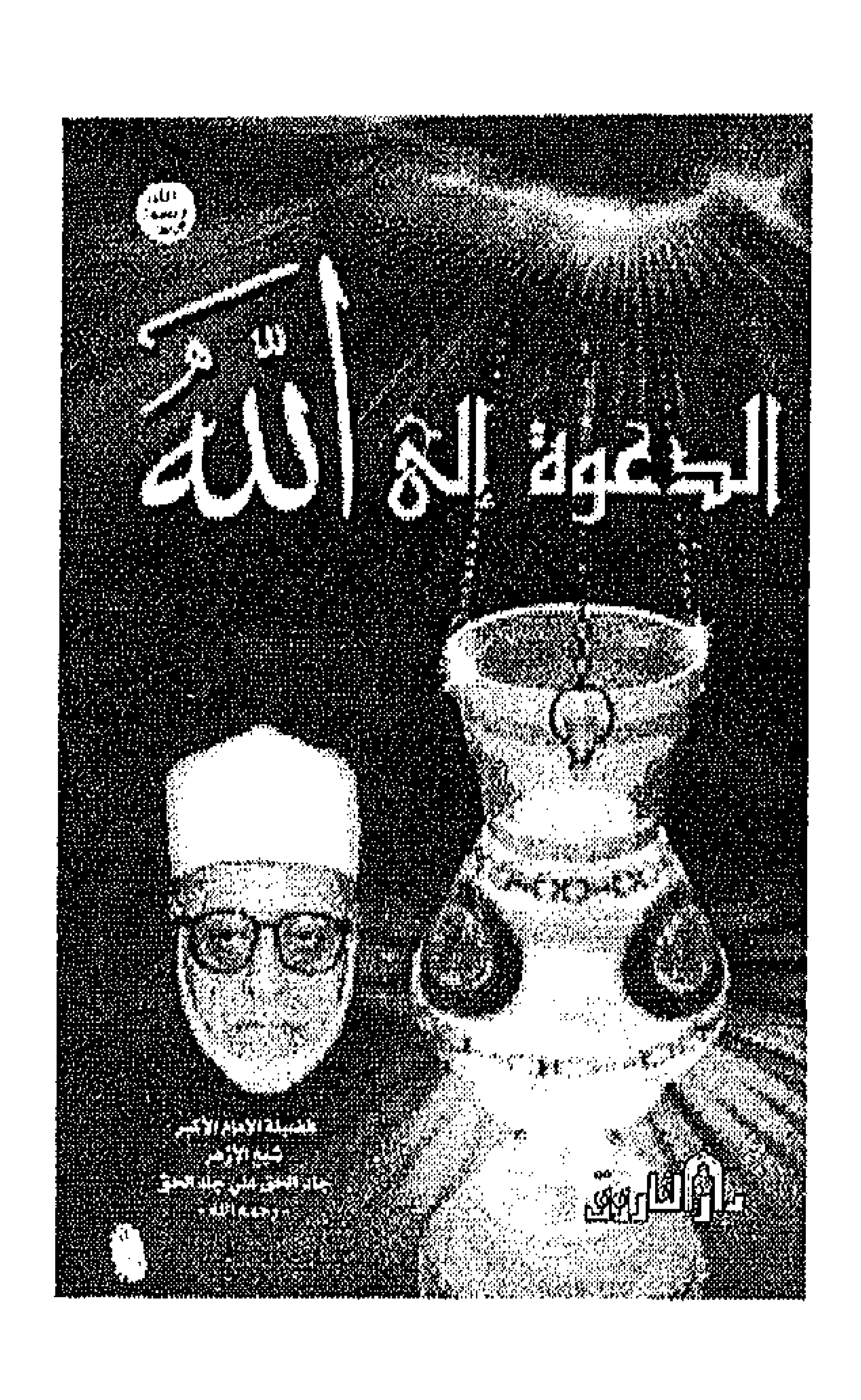


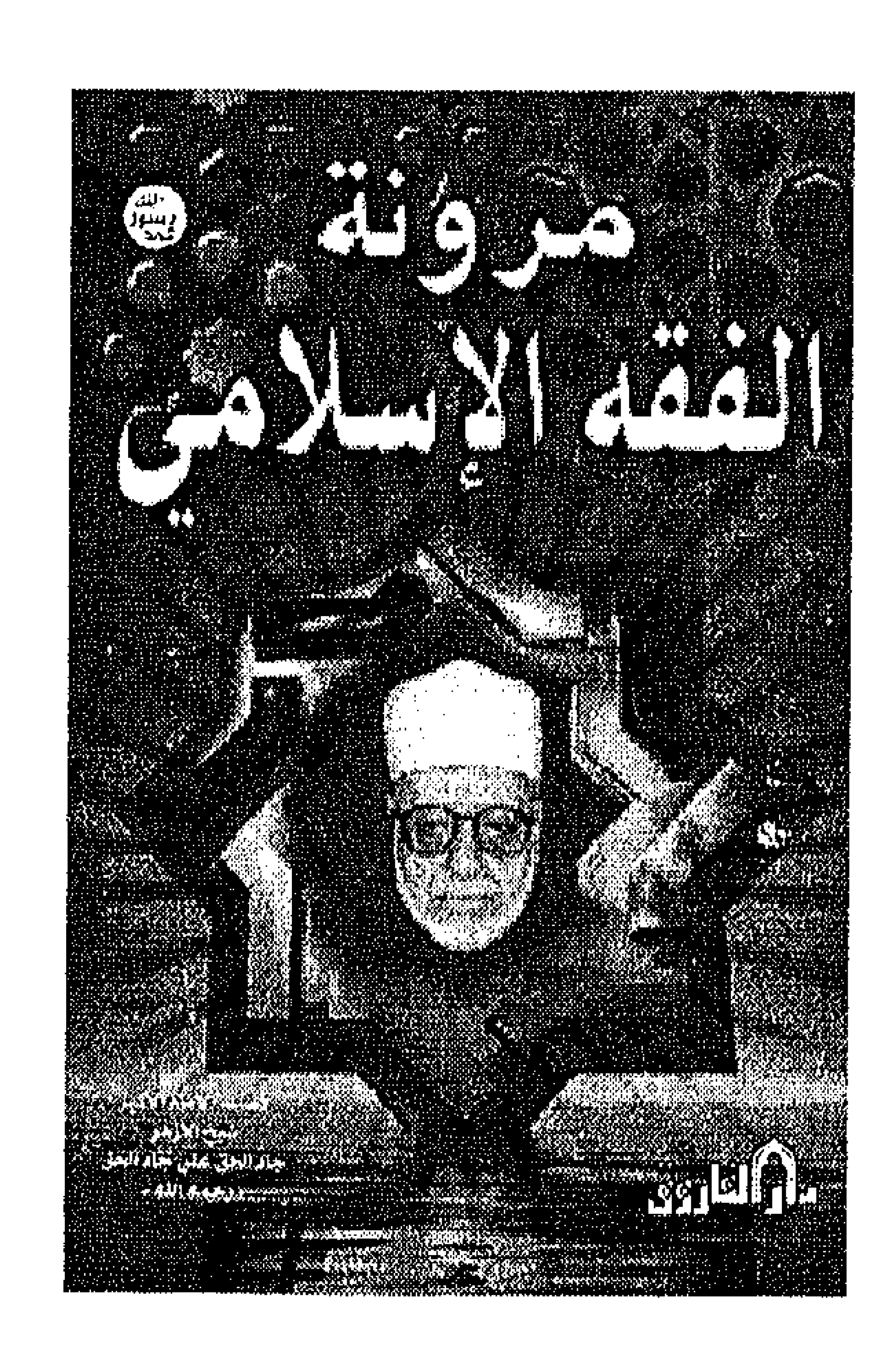


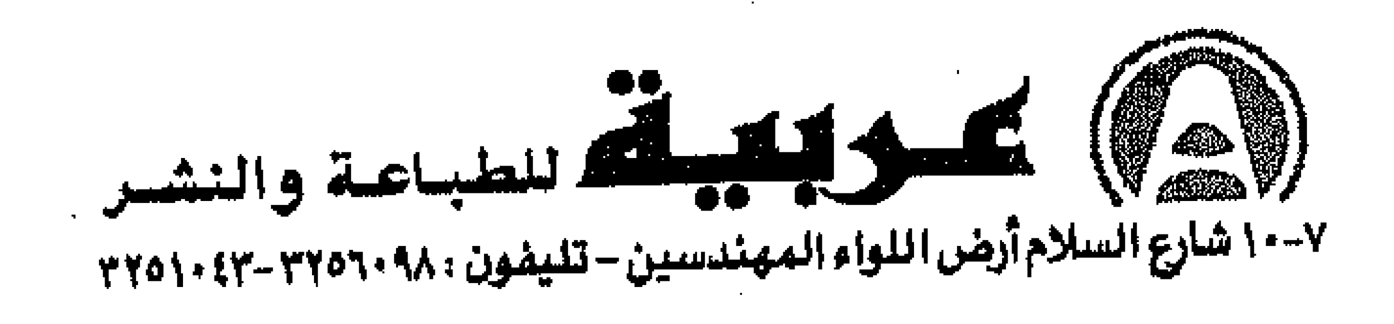


من إصدارات دار الفاروق








عربية للطباعة والنشر
٧-١٠ شارع السلام أرض اللواء المهندسين - تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨٠ - ٣٢٥١٠٤٢

الإسلام والفن

ظهر الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا فوضع قواعد وحدودًا لكل ما يهم الإنسان في دنياه وآخرته، ومازال علماء الإسلام ينهلون من هذا النبع الصافي لبيان المنهج السليم والطريق الواضح لكل مسلم ليسير في حياته وأعماله بأمان وعلى هدًى.

ولقد كانت الفنون المختلفة من شعر ومسرح ورسم ...إلخ مجالاً من المجالات التي بيَّن الإسلام حدود المشاركة فيها وطرق التعامل معها، وبيَّن ما يقبله منها وما يرفضه، بل ما تقبله الفطرة السليمة وما تأباه.

ويسعد دار الفـاروق أن تقدم للقارئ هذا الكتاب الذي يوضح جانبًا من جوانب العلاقة بين الإسلام وبعض الفنون المختلفة التي تشغل بال الكثير من الناس؛ ولعله يكون إضاءة نحو الطريق الصحيح.





زوروا موقعنا ...p://www.darelfarouk.com.eg

للشراء عبر الإنترنت ...relfarouk.sindbadmall.com



